



سلطنة عمان  
وزارة التراث القومي والثقافة

# الحقيقة والمجاز

في

تاريخ الأباضية باليمن والجزائر

تأليف

الفقيه الفاضل الشيخ

سالم بن حمود بن شامس السيابي

قاضى المحكمة الشرعية بمسقط

١٩٨٠ / ١٤٠٠ هـ

سلطنة عمان  
وزارة الترخيص والتسويق  
رقم الترخيص : 17  
رقم الخاص : 217/9

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي جعل الوجود البشري في هذا الكون أعجوبة الدهر ،  
وجعل أعماله الصالحة في ذاتها خالدة الذكر ، وجعل ماسوى ذلك من الأفعال  
عبرة العقل وحيرة الفكر ، أحمده حمداً يجب لجلاله ، وأردفه بواجب  
الشكر على نواله وأصلى ، وأسألم على نبينا محمد وآله ، وعلى أصحابه  
الغر المتوجين بحسن خصاله في كل قطر .

أما بعد فإنه مازالت نفسى تراودنى لتحرير تاريخ الأباضية باليمن  
وحضرموت ، وأباضية الحجاز قياماً بحقوق أوائلك السادة الذين أخذوا بهذا  
المذهب الصحيح ، وضحوا بما عز وهان في خدمته ، فصارعوا الباطل وقارعوا  
أهل الضلال والفساد ، وجورة الأمة ، ولكن من حيث إن تاريخ القوم كما قيل  
يذكر ولا يبصر للقصور الذى أصيب به رجاله خصوصاً في القضايا التاريخية ،  
وليتمهم وفوها حقوقها ، وأعطوها واجباتها كما أعطوا القضايا الفقهية ما لزم  
وفوق ما يلزم ، فخدموا الفقه في الدين خدمة يكاد أن يعجز عنها بقية أهل  
المذاهب ، ولكن الحقوق التاريخية أضيعت ، وقد قال الإمام السالمى رحمه الله  
في تحفة الأعيان عن هذا المقام ما قال ، وتأسف على إضاعة الحقائق التاريخية  
وذكر رحمه الله أنه يحاول هذا المرام بكل جهده أن وفقه الله ، فيجعل تاريخ  
الصحافة في كتاب خاص ، وتاريخ المذهب في الحجاز والعراق وعمان  
واليمن والمغرب وخراسان وغيرها من عهد الصحابة إلى عصرنا هذا في  
كتاب خاص ، قال : ثم رأيت أن ذلك شيء يطول ، فعمجت للناس  
السيرة العمانية .

قال وإن كان في الأجل فسحة جعلت إن شاء الله باقي السيرة على حسب ما ذكرت ، فأجعل سيرة الصحابة في جلد مفرد ، وسيرة أهل العراق واليمن وخراسان في جلد مفرد ، وسيرة أهل المغرب في جلد مفرد اه .  
وبذلك تبرز الأمة الأباضية المشار إليها في عالم الحياة ، كأنها تشاهد عيانا ، وتكون أعمالها على فضلها برهاننا ، فإن التاريخ اسان محدث عن الأمة في أجيالها ، وعلى كل حال إن ذكر الإنسان بعد موته هو عمره الثاني الذي أشار المتنبئ حيث يقول :

ذكر الفتى عمره الثاني وحاجته ما قاته وفضول العيش أشغال

وكان الإمام السالمي - رحمه الله - ممن بذل وسعه في إظهار حقائق أهل المذهب ، فإن تحفة الأعيان أبرزت عمان وأهلها للعيان ، وجاءت بكل إمام وملك وسلطان ، وأعربت عن أعمال أهل الإيمان ، وأفعال أهل البغي والطغيان ، وإن كانت حديثا خاطفاً فقد أفاد فائدة يحسن أو يستحسن عليها السكوت ، فجزاه الله عن أمة الإسلام خيرا .

ومن حيث إن تاريخ القوم أهمله أصحابه ، وقضى عليه بكل معنى الكلمة بغى الأرهاط التي حلت مكان الأباضية ، فأعدمت كل شيء كان للأباضية في هذه الأصقاع ، وإنما بقيت نفحات تهب على العالم من عمان والمغرب ، فبقيت روحا تنعش الوجود الأباضي ، وأصبح تاريخ هؤلاء كالشيء الخيالي الذي لا حقيقة له .

وبناء على ما قر في ذاكرتي ولم يزل ثابتا في نفسي منذ عهد الصبا من هذا الصدد ، وفي هذه الآونة ظل يتحرك تحرك النبض في الجسد ، وأنا بين حركاته في إقدام وإحجام ، يقدمني حب نشره ويبعثني واجب ذكره ،

ويحجمنى غموضه وعدم المصادر التى يصح الأخذ عنها ، ولكنه كما قيل :  
من جد واجتهد فى أمر وجد ، ولن يضيع حق له مطالب ، وأنا لأن  
المطالب بهذا الحق وأرجو من الله العون عليه مع الصبر على عنائه ، متأثراً  
بقول من قال : من تهبب أحجم ، ومن أحجم لا بد يوماً أن يتدم ، لأن  
الإحجام عن الخير قصور أو تقصير ، وكلاهما مذموم ، وعلى كل حال فإن  
الإنسان يجب عليه أن يقوم فى عمله حد طاقته ولا يلام بعد ذلك : ( لا يكلف  
الله نفساً إلا وسعها ) .

لاسيما أن نصرة المظلوم واجبة وتاريخ الأباضية مظلوم مهان مهضوم  
مستهان ، وعلى الأقل شبه مظلوم ومغبون ، وكلاهما أيضاً لا يرضى إلا عند  
من لا يعرف للتاريخ شأناً ، وهم الكثيرون ، وأى أمة حفظت تاريخها فقد  
حفظت شرفها .

ولنا فى هذا المقام كلام نفيس فى صدر تاريخنا ( عمان عبر التاريخ )  
ويبدو أن انتشار المذهب الأباضى فى اليمن وحضرموت والحجاز وخراسان  
فى أول القرن الهجرى ، فإن قيام عبد الله بن يحيى الكندى إماماً فى العقد  
الثانى من القرن الثانى ، وإذ ذاك فالأباضية هذه البلاد خصوصاً اليمن  
وحضرموت لهم الأكثرية ، وهم غالب أعيان البلاد ، إذ هم الذين يشار  
إليهم من نواحى عديدة ، بل من نواحى الزعامات التى تروم السيطرة على  
اليمنيين ، فإن طالب الحق بويج بالإمامة فى نظر المؤرخين غير الأباضيين  
الذين لهم الاعتناء التام بحقائق التاريخ فى الإسلام ، حققوا فى كتبهم إمامة  
الإمام طالب الحق فى هذا العهد الذى أشرنا إليه ، وهو سنة ١٢٩ هـ أو  
قبلها ، وكان جيشه الذى بلغ ثلاثين ألفاً لم يخالطهم فيه إلا قدر أربعمئة  
رجل من أباضية البصرة الذين جلبهم الختار بن عوف المعروف بأبى حمزة  
كمساعدة للمذكور .

ولهذا ولأمثاله بذلت الجهد واستعنت بالله على خدمة تاريخ القوم لعلى  
أكون شريكاً لهم فيما تصدوا له من نشر الحق ورد الباطل أياً كان ، ولقد  
حررته بغاية الإيجاز ، أعنى تاريخ الأباضية في اليمن والحجاز ، سميته الحقيقة  
والحجاز ، راجياً من الله عز وجل بتحريره ذكرى أولئك السادة الذين يحق  
لذكورهم الإعزاز ، ويجب أن يجعل لأعمالهم بين الأمم غاية الامتياز ، لأن  
كل ما حاولوه إظهار الحق والقيام بحقوق الإسلام من كل ما وجب  
أو جاز ، والله أسأله توفيقه ورضاه وعونه الذي لا يتسنى لنا إلا به إلى رحمته  
مناطق الجواز .

## التعريف بحضرموت واليمن على جهة الإجمال

اعلم أن التعريف بهذين البلدين على جهة التفصيل غير ممكن لنا في هذا الحال الذي فيه نحن الآن ، لضيق وقتنا ، فإننا والحال الذي تحيط بنا حيطته ، في شاغل تترادف فيه الأعمال ، ولكننا سنلقى كلمة في هذه العجالة التي لا يزال صراعها يهددنا فنقول :

لا يخفى أن اليمن من الأقطار العربية الواسعة التي عزت مقاماً ، وقد عرف اليمن بقدم الشرف جاهلية وإسلاماً ، ولا شك أن حضرموت من اليمن ألوية وأعلاماً ، ومحلا ومقاماً ، يستقل به غالباً في العهد الأول من الأباضية ملكاً أو إماماً ، فتقدر مساحة اليمن بنحو أربعين ألف ميل مربع ، وقيل بخمسة وسبعين ألف ميل مربع ، ويقدر سكان اليمن بأربعة ملايين نسمة .

يحتوى اليمن على عدة قبائل عربية وأكثر أهلها قحطانيون ، وفيهم عدنانيون ، أهم بلدان اليمن صنعاً ، وهى العاصمة القديمة في الجاهلية ، وهى العاصمة الجديدة في الإسلام ، ثم تليها الجديدة ، ثم تعز ، ثم صعدة ، ثم بيت الفقيه ، ثم اللحية . وهى فرضة على ساحل البحر الأحمر شمال الجديدة ، ثم مبدى ، ثم الصليف جزيرة في البحر ، ثم زبيد جنوب بيت الفقه ، ثم مخا بفتح الميم والحاء المعجمة ، وهى ميناء كبير هام ، ثم آب ، ثم الخوخة ، ثم جزيرة الشيخ سعيد ، ثم باب المندب وهو مضيق بالبحر بين اليمن والهند .

وفى باب المندب ومخا واقع السادة اليعاربة الدولة البرتغالية كما يقول الشيخ خلف بن سنان الغافرى رحمه الله :

ولدى باب مندب كم دم      ظلّ وكم مال أماله الصمام  
وكذا فى مخاقد امتخ منهم      أعظما قبل رومه لا ترام



## حضر موت

لا يخفى أن حضرموت كان ينبغي أن نتكلم عليها قبل الحديث عن اليمن، لما لها من العلاقة الخاصة بالأباضية، خصوصاً في ذلك العهد، ولكن من حيث إن حضرموت من أعمال اليمن غالباً قدمنا ذكر اليمن ذكرًا خاطئاً لأنقول إنه ذكر - كما يقول المؤرخون - ولكنه إشارة نفتح بها الباب للحديث فنقول:

تقع حضرموت على ساحل البحر الغربي شرقي عدن، وشرقيها سيحوت وبلاد المهرة، وغربها وادي عرمة فشوة فالعير، وشمالها الربع الخالي وجنوبها بحر العرب.

## مساحتها

تقدر مساحة حضرموت بعشرين ألف ميل ومائة ألف ميل مربع، وطول ساحلها أربعة آلاف وخمسمائة كيلو متر عند الحدود الشرقية، من أشهر بلاد حضرموت المكلا وتقسم خمسة ألوية، بمعنى إمارة بحسب الاصطلاح، عاصمتها المكلا، وثانيتها الشحر وهي بندر شهير، وميناء كبير، وثالثتها حجر، ورابعتها دوعن بفتح الدال المهمة وسكون الواو وفتح العين آخرها نون - وخامستها شبام - بفتح الشين فباء فألف فيم - وكل لواء يحتوى على عدة مناطق، ويقدر سكانها بثلاثمائة ألف نسمة أو أكثر.



## صفة الأباضية

قال صاحب المعالم: إن الأباضية فرقة من فرق الخوارج الكثيرة المتعددة، قال وسموا خوارج لأنهم خرجوا عن طاعة علي ومعاوية، وانفردوا برأى عن رأى الجماعة، فسماهم الناس خوارج، قلت قبل كل شيء يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ليدع أحدكم أخاه بأحب الأسماء إليه» فأنت يا صاحب المعالم تسمى أهل الحق خوارج تسمية تنبزههم بها إذ خرجوا عن علي حين حكمت الرجال في دين الله، وقد حكم القرآن في القضية التي حكم على بن أبي طالب فيها، وهو العلم المعروف الذي تزجى إليه المعضلات، وتساق إليه المشكلات.

وهنا زخرف له المضللون الذين قادتهم الأطماع، وتحكمت عليهم سلطة حب الرئاسة، فقادته إلى ما وقع فيه، أما معاوية فلم يكن الرجل المقارن لعلي بن أبي طالب، وإنما هو والى الأمير عمر بن الخطاب رضى الله عنه، الذى يخشاه أبو سفيان قبل معاوية، وما معاوية إلا على أساروب أبيه الذى ما زال باقياً على كبريائه حتى مات، فكيف بمعاوية المعروف فيجعل فى عداد الخروج عنهم، وإنما هو أحد ولادة الإمام على الشام، وهو الذى خرج على الإمام محارباً له شاقاً عصا المسلمين، يريد أن يفرق جمعهم ويهدم بناءهم، ويقلب أمورهم ظهراً لبطن، ليسيطر عليهم فيكون ملكاً فيهم وزعيماً عليهم، وعلى الأقل ليشاغل على المسلمين عنه، بل كل مسلم يعلم خروجه على الإمام الحق الذى ثبتت إمامته بإجماع المسلمين، ولم يعب عليه شيء أبداً، فإنه جعل إماماً لينظر فى مصالح المسلمين فيولى ويعزل، نظراً للمصالح العامة، وقياماً بحقوق الأمة.

ولسكن لعلم معاوية أن علياً غير تاركه على ولايته ، فظل يلتمس المناط الذى يتعلق به ليبقى على إمارته التى عشقها وعدّها من حقه ، وإنما الحق للإمام يعزل ويولى ، وله النظر فى المصلحة العامة التى تؤيد الإسلام ، فإنه لذلك جعل إماماً ، ومعنى الإمام هو القدوة الصالحة ، فخرج معاوية على عليّ وعلى المسلمين ، بل خرج على الدين لما كان على بن أبى طالب إمام عامة ثبتت إمامته بإجماع خرج عليه يشق عصا المسلمين ولا يبالى بما يكون من خصام ، وما يكون من دماء تسفك على غير حق ، بل خرج على الإمام يشق طريق الخصام ولا يبالى بسفك دماء المسلمين ، ولم يقل له أحد إنه من الخوارج (١) .

ثم ثبت أن الخارجين عن عليّ إنما خرجوا على وجه واضح رأوه خلع إمامته ، وتقيّد بالشروط التى شرطوها عليه ، وكان الواجب أن يحكم فيها ذا الفقار حتى تنتهى ، فما وجه نزع أهل الإيمان بما هم بعيدون بعد الثريا عن الثرى وقوله وانفردوا برأى غير رأى الجماعة .

قلت : هل يلام الذى يرى الحق معه فيقوم به ؟ وما وجه لومه على انفراده ، وإنما شرعوا فى البيعة قبل كل شىء خوفاً للفشل وتلاشى الأمر وفساد الرأى ، وإن فساد الرأى أن يتردد ، وأوسكتوا لدخل الفشل الضار بالدين عليهم ، ولو تأخر أبو بكر وعمر عن عقد الخلافة يوم السقيفة فى حال موت الرسول عليه الصلاة والسلام ، لوقع الخلاف واتسع الخرق على الراقع ، وهل يتصور لإنسان ذو عقل وله دين وإيمان ، أن أبى بكر رضى الله عنه يشتغل عن تجهيز الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو لم يفارقه

(١) ذلك لأنه أمير المؤمنين تخشى عصاه وسيفه أما الأباضية فلا . ٥١ .

في حلولا مر ، ولا في حضر ولا في سفر ، ولا في خوف ولا أمن ، وبشتغل هنا بحطام الدنيا ورياشها وزهرتها ، لا وربك حاشاه . لكنه خاف أن يقع هدم للدين ، ورأى أن الحفاظ على بناء أمر الدين أنزم ، لأن الفوضى إذا وقعت وقع معها ذهاب الدين من أصله ، فرحم الله أبا بكر ورضى عنه .

وكذلك كان نظر الدين خرجوا للنهروان ، وإذا كانوا كلهم مجتهدين ، فعلام يلام فريق ، ويؤنب ويحترم الآخر ويؤيد بغير موجب ؟ ! أم كان الاجتهاد مخصوصاً بأناس دون غيرهم ولا مخصص من العقل ولا من النقل ، أم كان مقبولاً من أناس غير مقبول من الآخرين ؟ إن هذا كله ليس من الحق في شيء أبداً إلا عند من يرى أن المسلمين ليسوا سواء ، وأن تلك المساواة التي كانت عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وعهد أبي بكر وعمر انتسخت ؛ فالله أعلم بذلك ، وهؤلاء تسرعوا في بيعتهم لإمامهم خوف أن يقع ما وقع عهد أبي بكر رحمه الله في السقيفة ، ولكل نيته .

وعلى بن أبي طالب لا ينبغي أن يحمل على غير الحال الصالح ، وإنما غره الأشعث الحبيث الذي كان من أول أمره رجل دنيا ، والدنيا والآخرة ضرتان ، وأهل الدنيا وأهل الدين ضدان ، والأشعث يشهد عليه تاريخه قبل أن يكون مع علي بن أبي طالب ، وإن كان المرء أيا كان يخطئ ويصيب ، ولما انجزم الأمر بإمامة أبي بكر رحمه الله انسد باب الشقاق ، وانعجم ثغر الافتراق ، واستقر الأمر على أساس من الثبات ، يدعمه الإيمان ويعضده الحق .

والخارجون عن علي أرادوا هذا الذي أراده أبو بكر وعمر ، وكان  
عليّ عليّ أن يؤيدهم ، كما قيل إنه كان كذلك يرى حتى أزاله الأشعث ،  
وكان يصدقه ويعتقد صدقه ، فقاد أصحاب الدسائس أمامهم لقتال تلك  
الفرقة المؤمنة الزاهدة العابدة الفارة بدنيها ، لتجهل لها إماماً صالحاً تختاره  
لدينها وترضاه لديناها ، إذ ليس الدين خاصاً بأحد أو ملكاً لأحد من  
البشر ، إنما الدين من صفات المصلحين من المؤمنين ، وأوائل القائمون  
بالهروان كل واحد منهم أفضل من معاوية بمسافات ، ولكن القضاء  
والقدر سابقان للبشر ، قاضيان عليهم ، فمن نسب أهل الهروان إلى  
الضلال في عملهم ، تلزمه التوبة إلى الله ، ولا يعد ما وقع عليهم مصيبة  
في الدين أربعة آلاف مؤمن في ضحوة من النهار بغير موجب ، وبهذا  
انهارت صروح الإسلام ، وانتقضت دعائمه ، ولم تطل أيام الإسلام الصحيح  
حتى قام الملك العضوض ، ولكن لله أمر هو بالغه ، وحكم هو نافذه ،  
وإن رغم أنف الدهر ، ولا شك أن قتل رجال الحق الزهاد العباد الذين  
أكلت الأرض جباههم وجنوبهم وركبهم من كثرة الركوع والسجود ، له  
عاقبة سيئة والعياذ بالله ، هل وجدهم قتلهم يشربون الخمر ؟ أم وجدهم  
في بيوت الدعارة ؟ حاشاهم ، بل وجدهم يقرعون القرآن متأهين لصلاة  
الجمعة ، وما كان - فيما اعتقد - أن علي بن أبي طالب أراد قتلهم ، حاشاه  
وإنما أراد قتلهم من خافهم على معاوية ، وخاف استفحال أمرهم حيث  
رأوهم تهاوى إليهم نجوم الحق من سماء الإسلام ، فدسوا عليهم من يتحدث  
عن أعمالهم الصالحة بالأحاديث الفاسدة ، والأقوال الضلالة ، ولم يعتبر السامع  
عندهم فيما ينسب إليهم من البغي والظلم ، ولم يفكروا فيهم أنهم فروا عن  
علي بن أبي طالب أكرم رجل في آل النبي ، ولم يرضهم موافقته على

التحكيم حتى أصبحوا في نظره لصوصاً أو شبه اصوص ، أو شراً من  
للصوص بغير حق ، بل للأفعال التي نسبوها إليهم لإرادة الشر بهم ،  
ولإظهارهم مع الناس بالمظهر السوء ، وما كانوا قتلوا عمار بن ياسر رحمه  
الله ، ولا راعوا فيهم زهدهم وورعهم ، ولا كونهم من خيار الصحابة  
وأعيان أمة الإجابة ، ثم ماذا فعلوا اعلي بن أبي طالب بعد قتل القوم ؟ فعلوا  
رفضه وإلغاء أوامره ، وإلقاءه لأكله ، فإنه أراد قيامهم فلم يقوموا ،  
ودعاهم للشورة على عدوه فلم يجيبوا دعوته حتى هان أمره ، وضعفت قوته ،  
فتجاسر عليه من قام له فقتله ، وهذه الأحوال كلها شواهد على سوء البطانة  
والله المستعان .

قال صاحب المعالم : وانفردوا برأى غير رأى الجماعة ، قلت بل  
الجماعة انفردوا برأى غير مارآه هؤلاء المؤمنون ، وإذا كانت القضية  
قضية رأى واجتهاد ، كما قلنا سابقاً ، فما هؤلاء القوم يقتلون إخوانهم حيث  
انفردوا برأى خاص لهم ، رأوا الحق فيه واعتمدوه ! فكيف يقتلون على  
رأى غير خارج من دائرة الحق والحال ، لا إمام ولا إمامة ، فإن الإمام  
خلع نفسه عن الإمامة وولاها الحكمين على عهد الله وميثاقه ، أن يوليا من  
شاءا ويعزلا من شاءا ، فقد اتفقا على خلعه ، واختلفا في التولية له ، فولى  
أحدهما معاوية ، واجر نجم الثماني فلم يفعل شيئاً ، واقترقا على ذلك ،  
ولما أولئك المؤمنون نهاية الواقع ، وما كانوا يرضون معاوية إماماً في الدنيا ،  
فضلا عن أن [ يكون ] إماماً للدين ، فالدلك تسرعوا إلى البيعة لعبد الله بن وهب  
الراسبي ، المعروف بدى الثقات ، فلما وقعت البيعة لزممت وحرمت تركها  
بغير موجب ، فإذا فعل هذا الإمام موجب غسخها لزم خلعه منها ، وإن  
أصر عليها وجب على المسلمين قتاله ، وذلك كما إذا فسخ إمامته أو جأ .

أو ظلم أو ترك واجباً دينياً ، وذلك بعد تنويبه ، فإذا تاب قبل منه ، أما قتل أهل النهروان بغير موجب فظلم وجور وبغى تضح منه السموات والأرض ، وبهتز منه عرش الرحمن حيث يقتل أربعة آلاف مؤمن ، وقيل أكثر حتى قيل هم عشرون ألفاً .

دماء عشرين ألفاً وسط جمعهم بغير حق همت كالوابل المنهمر ، في ضحوة من النهار ، ولم يفعلوا من معاصي الله واحدة ، ولكن أهل الدنيا لا يباليون ، وهذا دأبهم وهم وأهل الآخرة خصمان ، اختصموا في ربهم وإليه المصير .

قال المصدر المشار إليه وكانوا فيما يروى على الأقل أربعة آلاف مقاتل ، فصمد إليهم على وما زال يقاتلهم إلى أن أفاهم على بكرة أبيهم ، قال ولم يفلت منهم سوى تسعة نفر ، فقيل ذهب منهم اثنان إلى عمان ، واثنان إلى كرمان ، واثنان إلى سجستان ، واثنان إلى الجزيرة ، وواحد إلى اليمن ، فذلك أصل الخوارج .

قلت ليتك عرفتنا أسماءهم حتى يخلدها التاريخ ، فيكون لهم فضل لأنهم أصبحوا عندك أصل الأباضية ، وأنتك ترمز بهم إلى هذا الجيل الذي تعرفه في عمان وفي سجستان وكرمان ، وفي الجزيرة واليمن ، فتريد أن تجعل هؤلاء أصلاً للخوارج . والمعنى أصلاً للأباضية ، كما صرحت بذلك في مواضع ، حيث علمت أن هذه الأقطار في الصدر هم أباضية ، فتجعل الأباضية خوارج ، فيكون ذلك مسبة لهم ، ولا شك أن هذا التقسيم من المنهج الذي وضع للافتراق في الأمة ، وللدخول به على أهل الحق ، فن هم الاثنان الأولان اللذان جاءا إلى عمان ؟ ليتك أخبرتنا لنعرف بهما العالم ،

فنضع تراجمهما في التاريخ ، وليعرف أمر هذين الرجلين إن كان حقاً أو باطلاً ، والذي أقوله وأتوخاه وأرجو أنه الحق إن شاء الله ، إن هذا افتراء يساق للقدح في الأباضية المحققة ، وأن علي بن طالب كان بيده زمام الأمر ، وإنما التوى عليه حباه بكيد الأشعث بن قيس الكندي الداهية ، الذي فتح دفتي الباب لتتسع شقة الخلاف ، ووضع تخطيطه لعلي بن أبي طالب في الظاهر ، وهو يريد صالح معاوية الذي بريق الدرهم والدينار لديه له شعاع ، وعلى يحسن به الظن ويظنه معه وهو عليه !

ولما وافق علي على المسير إلى القوم بزعم الاجتماع عليهم ، اغتم القوم الفرصة للمرام الذي خططوه ، فلم يشعر علي بن أبي طالب إلا والقوم يجتلدون بالسيوف ، ورحى الحرب تدور بين الفتتين ، وقد قالوا قبل هذا الوقت : إن القوم فعلوا وقتلوا وبقروا بطن المرأة وأخرجوا جنينها وقتلوا زوجها ، وبهذه الصفة أصبحوا في شنائع لم تفعلها أمة بجرمة ، فضلاً عن أمة تتسمى بالإسلام ، وإذ ذاك وعلى في المأزق الحرج لا يدري ماذا يفعل ، وقد قيل والمرء في المحنة عبي وعلى بشر يعتريه ما يعترى البشر ، لا كما تقول الشيعة ، وإذا هم يقولون هذا فعل القوم الذين تقول أنت لنا فيهم كيت وكيت ، فما كان من علي إلا السكوت ، ولا أظنه أمر بقتلهم ولا أشار إليهم ، ورأى السكوت يسعه حيث قال له القائمون بأمره عن القوم ما قالوا ، ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم . حيث نسبوا إلى أهل الحق ما نسبوا ، ليتوصلوا إلى الباطل بما حصلوا ، ولا أرى علياً إلا خلياً من دماء القوم ، ولا ألومه وهو قاصدهم لتفاهم معهم ، ويتفاوض هو وإياهم ، فإنه ثبت عنه أنه قال إنكم لأهل الحمل يوم الحمل ، وأهل صفيين يوم صفيين ، وفي رواية لأهل الدار يوم الدار ، وعليه فيحمل علي أن الواقع من معرفة ( ٢ م - الحقيقة والحجاز )

الجيش ، وبذلك وقع ما وقع ، وهو لا يعلم من المعتدى ، ويجهل  
المتدى ، وأصبح الأمر محاطاً بالجهالة ، وبذلك أصبح إمام المسلمين  
تتوارى صروح إمامته بأعمال هؤلاء ، وذلك أنه كلما أراد قيامهم إلى معاوية  
وإلى الشام ليقبله ، دسوا له ما يصدده ونسجوا له حبل الفشل الذى يعرقه  
عن حركته ، وهذه خطبة فيهم يرويها الرواة ، مخبرة عن أحوالهم ،  
شاهدة بما هناك من الأمور المضمرة ، معرفة عن التحقيق لهذا المقام ،  
وقولهم فر اثنان إلى كذا واثنان إلى كذا إلخ كله لا أصل له إلا زخرفة  
وسفسطة ، وكلهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ،  
وفيهم من هو أفضل من معاوية بمسافات يعرفها أهل الحق فى الدين .

وقد وضع أعداء النهر وإن تبريرهم أوضاعاً مدسومة ما جاء بها من  
سلطان ، ولا قالها أحد من أهل الإيمان ، لأن الجارم لا يبد وأن يجعل له  
مبرراً بحسب الظاهر ، قال ويرون - أى الأباضية - أن أهل الكبائر كفار  
نعمة لا كفاراً بالله ، قلت نعم إن من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله  
فهو مسلم ، له مال للمسلمين وعليه ما على المسلمين من التكليف ، ومما أوجبه  
الله فى الدين ، لأن رسول الله كان معه من قال لا إله إلا الله محمد رسول  
الله ، وكان يعاملهم معاملة المسلمين كعبد الله بن أبى راس المنافقين ،  
وكأبى سفيان الذى أسلم إسلاماً مشوباً بالنفاق فى أمثالهما ، فدل ذلك أن  
من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله حكمه حكم المسلمين ، حتى تتوجه  
إليه الأوامر فيأبأها تهاوناً بها وتمرداً عليها ، وعدم استجابة لها ، فهذا  
هو كافر النعمة وهو الفاسق والضال والمنافق ، أما المنكر لها فهو الكافر  
شركاً الذى تحل غنمية ماله وسبى ذراريه لرده على الله ، فهذا الذى  
لا مقام له مع المسلمين .

قال ويرون دار مخالفهم دار توحيد قلت كيف لا وقد نطقوا  
بالشهادتين ، وصلوا وصاموا وحجوا البيت الحرام ، ودانوا لله بواجباته  
العملية ، قال ولكن دار السلطان دار بغى ، قلت ذلك شريطة إذا كان  
السلطان متمرداً على الله في أوامره ونواهيه ، وراه المسلمون باغياً ،  
وكل المسلمين يراه باغياً ، ويقولون إنه باغ إلا من أخذ بمذهب المرجئة  
وهو مذهب باطل عاطل لا يستقيم عليه الدين ، قال وهم يحتجون على كل  
من يتهمهم بمخالفة السنة ، قلت متى خالفوها ، أيوم بايعوا علياً أم  
يوم خرجوا عن الباطل الظاهر ؟ أم يوم قاموا لله واجتمعوا ليقيموا لهم  
إماماً يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، وبأخذهم إلى طاعة الله ،  
لا ليسرقوا أو ينهبوا أو يفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ، ومن اتهمهم  
بمخالفة السنة فليأت بحجته وليدل بما لديه ، فإن الحق أحق أن يتبع ،  
وما بعد الحق إلا الضلال ، ولكننا لانرى من يتبع الحق إلا الأباضية ،  
أما من عداهم فيتبعون أهواءهم وأهواء أمرائهم ، ويقلدونهم جاروا أم  
عدلوا ، بل يرون زعماءهم وملوكهم الحجة في الدين ، وأنهم هم أولو  
الأمر معهم ، فلذلك يوجبون طاعتهم حتى في لعن على المناير ،  
وفي ملأ من الناس ، وأن ذلك لا يعدونه جرماً ، بل يقولون رضى الله  
عنهم ، قال ويقولون هم وحدهم الذين لم يحيدوا عن السنة ، قلت نعم  
لأنهم على السنة ما زالوا عنها في حل ولا ترحال ، ولن يزالوا عليها ،  
وإذا يزال الأباضية عن السنة فعلى الدنيا العفا .

إن الأباضية تبع السنة النبوية في الحل والمر ، ومن عنده انتقاد عليهم  
فليأت به لحياء الله ولايباه إن لم يأت .

قال ويزعمون هم وحدهم الفرقة الناجية من أصل الثلاث والسبعين

فرقة ، قلت ليس في هذا امتراء ، ومن أراد أن يعرف صحة ذلك فليحضر لسمع ، وليس في فرق الإسلام من ثبت على الحق غير الأباضية ، فإنهم اجتنبوا ما نهى الله عنه ، وفعلوا ما أمر الله به ، وسلكوا سبيل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الخلو والمر ، وجاهدوا في الله حق جهاده ، وسوف ترى لهم في هذا الكتاب المتواضع الهين البين من أعمالهم ما تعلم منه أنهم على الحق مالم تغالط نفسك فيه ، أو يتولاك الشيطان .

قال وهم لا يذكرون من الخلفاء إلا أبا بكر وعمر ، أما عثمان وعلى فلا يعجبناهم ، إذ قد خالفا نهج رسول الله عليه الصلاة والسلام ، قلت هذا كذب محض ، فإن الأباضية يتولون أبا بكر وعمر لأنهما عاشا وماتا على الحق ، وأما عثمان فقد قام عليه صحابه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وعابوا عليه أشياء قاموا من أجلها وحصروه في بيته ، وهم محاربوه ، فإن كان عثمان على حق فالخارجون عليه المحاربون له ضالون بذلك تجب منهم البراءة ، فما لكم تقولون رضى الله عنهم وهم خارجون على إمام الحق ، وإن كان عثمان ظالما وخرجوا عليه لظلمه فن الواجب القيام على الظالم حتى يرجع عن ظلمه ، وأين الأباضية من عثمان ، فما بال هذه الدعايات الفارغات والمقالات الخاسرة ، فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ، وما لهذه الافتراءات المضلة التي لا يراعى أهلها للدين حرمة ، أم كون عثمان أمير المؤمنين وكل ما يفعله أمير المؤمنين من الحق والباطل مقبول عند الله ، وهذا لذلك يجب أن يحترم ، وإذا كان كذلك فما بال مائة ألف سيف في المدينة بأيدي المهاجرين والأنصار ، الذين وصفهم الله عز وجل بالاستقامة

في الدين ، لاندافع عن الإمام المحق ، فما لهؤلاء الناس لا يأتون بالحق الذي يجب على كل مسلم أن يكون عليه .

أما علي بن أبي طالب فهو إمام بالإجماع ، بايعه المسلمون عن رضاً به واختيار له من بين أقرانه ، لما يرون فيه المناسبة لمنصب الإمامة فلإنها زعامة روحية يراد لها الرجل الفاضل زهداً وورعاً وتقوى وعلماً وشجاعة ، هذه هي الخصال المطلوبة في الإمكان ، وإلا فنادونها بمتنفي كالعالم والورع والشجاعة ، فبالعلم يعرف ما يأتي وما يذر ، وبالورع يحمي نفسه عما لا يحل له ولا يليق به ، وبالشجاعة يستطيع تنفيذ ما أوجب الله من الحدود ، وهكذا كان علي بن أبي طالب جمع هذه الخصال التي تراد في الإمام ، وزاد على أقرانه الستة بكونه من بيت النبوة ، فهو العالم العابد الزاهد الأمين الثقة التقى الذي سلم من الأهواء والتحيزات العنصرية ، متجرداً لله ، قائماً بحقوق الله ، ثابتاً على سلطان الله ، يتساوى معه البعيد والقريب في الحق لاتأخذه في الله لومة لائم ، وهذه هي صفة علي بن أبي طالب ، وهو لم يزل كذلك حتى دخل عليه داخل في سياسته ليضله عن طريقه ، وهو يعتقد فيه أنه يريد الحق ويدعو إليه ، وهو بطانة سوء لعلي بن أبي طالب ، فلذلك أثر عليه .

وبديها أن الرجل إذا كان يعتقد في صديقه الصفاء والإخلاص ، لا يقبل فيه شيئاً ينسب مما يخالف الموضوع ، وهذا عام في البشر لا يختص به علي بن أبي طالب ، فكلم وقع مثل [هذا] من بطانة السوء ، بل كتم قتل ناس من طريق بطانة بختصونها ويستصفونها . ولا يعلم الغيب إلا الله ، ولا نعتقد في علي ما تعتقده فيه الشيعة ، بل هو

عبد من عباد الله ، وهو هكذا يقول وبسبب بطانته السيئة وقع  
ما وقع :

ومع ذلك كله فالأباضية لايهجرون اسميَ عثمان وعلي لما صدر منهما ،  
أو ما انتقد عليهما من الأحوال ، وهذه كتب الأباضية مشحونة بالنقل  
عن الصحابة ، ومن جملتهم عثمان وعلي :

وهذا مسند الربيع بن حبيب أصح الكتب بعد القرآن ، والذي عليه  
المعتمد عند الأباضية فيه المروى من طريق عثمان ، وعلي وهذه آثار  
الأباضية ، ومشاهير كتبهم مشحونة بالنقل عن الصحابة عامة ، وعن بقية  
المذاهب الأخرى التي تباين مذهب الأباضية ، فما معنى هذا القول الذي  
يقوله هؤلاء المفرقون والمغرضون ، والله على لسان كل ناطق ، ولو كان  
الأمر إلى الأباضية لالتحمت صفوف الإسلام قبل أن تغيب الشمس ، ولما  
تظلم أحد من أحد مهما كان ، ولكن كل شيء بيد الله فإن الملك والكون  
له يفعل فيه ما يشاء ، ويحكم ما يريد سبحانه وتعالى .

قال ويقولون ، أي الأباضية : بوجوب نصب الإمام بين المسلمين  
إذا توفرت فيه الأسباب ، وهي القوة والعلم ، قلت نعم لأدلة من الكتاب  
والسنة ، ومن المعقول بسطانها في (إرشاد الأنام) والقوة والعلم من  
ضروريات صفات الإمام الذي يصلح أن يكون قائد أمة ، أو زعيم  
عامة ، فإنه إذا كان ضعيفاً فإن ضعفه يؤخره عن القيام بالواجبات التي  
تناط به ، فإنه لاشك تطلب فيه القوة التي يصارع بها أهل الباطل ، لقوله  
صلى الله عليه وآله وسلم : « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن  
الضعيف » الحديث ، والعلم هو الأساس الذي يجب على المسلم أن يمشى

عليه ما عاش ، فإنه لآحياة بغير علم لكل ، ولهذا أوجب الله عز وجل طلبه ، وكلف العباد به لقوله عليه الصلاة والسلام : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » في أحاديث ، ولاحياة بغير علم ، وبالأخص أهل المناصب ، إذ تتوجه إلى الإمام حدود وولاية وبراعة وما إليهما من جباية الزكاة وبيوت الأموال ، والقيام بمصالح الأمة إلى أشياء عديدة فينظر بالعلم من يقدم على العمل ومن يؤخر ، فإن بالعلم يقوم الدين ، ولهذا أوجب الأباضية العلم في الإمامة ، فإذا كان قائد الأمة جاهلا كان كما يقول القائل :

إذا كان الغراب دليل قوم يمر بهم على جيف الكلاب

والله يتولى من عباده الصالحين ، ولا يكون الصلاح ولا يتأقن إلا بالعلم ، ووجب نصب الإمام في الأمة معروف من الكتاب والسنة وإجماع الأمة ، ألا ترى أن الصحابة اشتغلوا بعلاج قضية الإمامة عندما تحققوا موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، لما يرون من لزوم أمرها ، فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، لم يدفن بعد ، وهم في أمر الإمامة ، فإن الأنصار اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة يتشاورون في أمر الإمام حتى هموا أن يبايعوا أحدهم ، وعلى الأقل أن يكون منا أمير ومن المهاجرين أمير ، نظراً إلى أن المهاجرين لا بد وأن يقوموا بأمر الأمير .

وعلم أبو بكر وعمر فقاما مسرعين في تدارك الأمر قبل شق عصا المسلمين بالخلاف ، وبنهار صرح الإيمان الذي بناه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وفعلا ارتد كثير من العرب ، وهم الذين لم يرسخ الإيمان في قلوبهم ، ولم تتحقق لهم الحقائق الشرعية التي [ أراد ] الله هداية

الامة بها إلى آخر الدهر ، فكان التوفيق حليف المسلمين ، فبايعوا  
أبا بكر رضوان الله عليه ، فقام بالأمر خير قيام ، ولم يعب عليه في خلافته  
حتى توفاه الله والمسلمون عنه راضون . .

ثم اتفقت خبرتهم على عمر بن الخطاب ، فبايعه الأنصار  
والمهاجرون ، وأصلح الله به الأمة ، وقد عامت أن الصحابة اهتموا بأمر  
الإمامة قبل أن يدفن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، نظراً منهم رضى  
الله عنهم لأهمية الأمر ، وما برحوا في أخذ ورد ، وما فرغ المسلمون من  
تغسيل الرسول عليه الصلاة والسلام إلا وقد فرغوا من تقرير الإمام .

وفي القرآن الأمر بالحدود في الزنى والخمر والقذف والسرقه وقتل  
القاتل وقطاع الطرق وغير ذلك ، والمخاطب بذلك الإمام ومن في معناه من  
سلطان وأمير وإمام ، فإن هذه ألقاب لا معول عليها ، بل المعول على  
العدل ولا يخفى أن الإنسان لا يحكم على نفسه ، وليس له أن ينفذ حداً على  
غيره فضلاً عن نفسه ما لم يكن إماماً أو سلطاناً عادلاً ، فإن السلطان العادل  
ظل الله في أرضه ، سواء كان إماماً أو أميراً أو خليفة أو سلطاناً بحسب  
الاصطلاح .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « الحدود والجمعات والنفى  
والصدقات إلى الأئمة » والمراد من هؤلاء كلهم العادل ، قال الله عز وجل ،  
لنبيه إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام : ( إني جاعلك للناس إماماً ، قال  
ومن ذريتي قال لا ينال عهدى الظالمين ) .

وقال لنبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم : ( خذ من أموالهم صدقة  
تطهرهم وتركيهم بها ) وهذا الخطاب يدخل فيه بعده من يقوم مقامه ، ذلك

لأنه يعلم أنه سيموت ، فإذا مات هل يقوم بها كل فرد في الأمة ؟ فن يكون إذن الآخذ ومن المعطى .

ففهم من ذلك أن الزكاة فرض على كل ذى مال ، ولا شك في وجوب الآخذ من ذى المال ، فلزم أن يكون من إلية سلطة الأمة ، ويبيدها أمرها إليها حلها وعقدتها ، وإجماع الصحابة من قولهم وعملهم على وجوب الإمامة ، وهو الذى حملهم على مبايعة أبى بكر رحمه الله حالا حتى لا يمضى وقت إلا والأمة تحت راية إمامة .

وكذلك الأمر في تعجيل إمامة عمر رضى الله عنه ، لولا وجوبها لكان لقائل أن يقول : ما حاجة على الإمامة وليترك الناس على ما هم عليه ، ولكنهم لم يتركوهم ، بل بايعوا بعد عمر عثمان بن عفان ، ثم بايعوا بعد عثمان على بن أبى طالب . وهكذا وبذلك أجمعت الأمة على وجوب الإمامة .

والأباضية عملوا بذلك الواجب كما شرعه الله عز وعلا ، قال : وإن القريشية عندهم ليست بشرط فى الخلافة . قلت : نعم إن وجد المستقيم فى قریش حسنت بيعته ، وإذا بويع وجبت طاعته لا من حيث إنه قرشى ، بل من حيث إنه صالح ، فإن المطلوب فى الامة الصلاح ، وهل لقریش مزيد فضل بدون الصلاح ، فإن الله عز وجل أمر بالصلاح ودعا ، وحديث : « الأئمة من قریش » وحديث : « قدموا قریشاً ولا تتقدموها » للعلماء فيهما أقوال .

والواقع أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يول قریشاً فقط ، وإنما ولى من عدة قبائل فى العرب ، وصحة الإمامة أصل لصحة الولاية ،

فلما فرع عليها ، وما جاز في الأصل جاز في الفرع ، ولم يجعل الله عز وعلا الأمر في أمة خاصة أو في قبيلة خاصة ، أو في بلد خاصة .

ويقول الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز : ( يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ) ، فحينئذ جعل الله عز شأنه أكرم عباده عنده أهل التقوى ، وقال عليه السلام : « لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى » فحينئذ المطلوب للإمامة المعروف بالتقوى على سواه ، وصاحب العلم مقدم على سواه ، وهذا الذي يؤيده العقل والصالح مع العلم مقدم أيضاً على غيره ، ممن لم يكن مثله .

ولا شك أن العقل قاض بتقديم العالم على الجاهل ، وبتقديم الصالح والأصلح على من دونهما ، وهذا في إمامة الصلاة ، فكيف به في الإمامة العظمى التي تناط بها المهام الكبرى كالحدود وسائر الأحكام التي لا تصح إلا من الإمام الأعظم أو من ينوب عنه بأمره ، وكالولاية والبراءة ممن تجب في حقهما ، فإن الدين مفروض على أصول .

ويقول الله عز وجل لإبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام : ( إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدى الظالمين ) في آيات أخرى .

قال المصدر المشار حاكيا عن الأباضية قولهم : بل يكفي أن يكون الخليفة متصفاً بالفضيلة سائراً بموجب الكتاب والسنة لتصح خلافته ، فإن انحرف عنهما وجب خلعه . قلت نعم هذا هو الحق ، ولا شك أن من كان سائراً بمقتضى الكتاب والسنة فقد أخذ حظه من العلم ، وصحت

خلافته ، وليس بعد الكتاب والسنة من سبيل للمؤمنين ، بل كلف الله بهما عباده وألزمهما اتباع أوامرها واجتناب نواهيها ، وأهلاً ومرحياً بمن كان كذلك ، فإنه من رجال الله الذى ينظر الله إليهم فى أدوار حياتهم وبهم يرحم الله عباده ، والله در الأباضية حيث كانوا على هذه الحال من أول يوم وُجدوا فيه .

نسأل الله أن نعيش على سيرة أهل الفضل فىنا ، وأن نموت على سيرتهم .

وقوله : فإن انحرف عنهما أى الكتاب والسنة وجب خلعه . قلت : نعم إذا انحرف الأمير عن مقتضى الكتاب والسنة فقد تهور فى أعماله ، ورجع التهقرى ، ولا بد أن يكون تعلق بالهوى وخلع ربة التقوى ، فلا يصح أن يبقى على هذا الحال إماماً ، فإن الأمة تتبعه فى تهوره وتنهار فى دينها تبعاً له ، فإن الأمة على دين ملوكها ، وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، والله ولى كل شىء ، وليس من الحق أن نترك المنحرف عن واجب الكتاب والسنة لا عقلاً ولا نقلاً فيما علمنا ، ولو أطلنا البحث لنأى بالقارئ فنكتفى بهذا المقال تعليقاً على كلام صاحب المعالم .

قل ويقولون - أى الأباضية - إن القرآن هو كلام الله تعالى وهو كقول المأمون العباسى خلقه الله تعالى ، قلت لأباضية يقولون إن الله خالق كل شىء والقرآن شىء من الأشياء . وقال تعالى : ( وخلق كل شىء فقدره تقديراً ) والقرآن كما قلنا شىء من الأشياء ، وهو كلام الله خلقه الله وقدره بحسب

الحوادث التي ستكون من العباد كما اقتضاها قضاؤه وقدره ، فإن دلائل الحدوث في نفسه ظاهرة ، وهي شاهدة بخلقه ، ولو كان غير مخلوق لكان قديماً ، ولو كان قديماً لكان مشاركاً لله في صفة القدم ، ولو شاركه في صفة القدم لتعددت القدماء ، ولو تعددت القدماء انقضى قدمه الخاص به الذي اتصف به ، فإنه صار له فيه شركاء وهذا ظاهر الفساد ساقط الاعتبار ، ولو كان متكلماً كخلقه لزم له ما يلزم لخلقه من اللسان التي هي آلة الكلام ، ولزم له أشداق وفم يخرج منه الكلام ، وهذا باطل عقلاً .

ثم وصفه الله بأنه حادث في قوله عز وجل : ( ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون ) ووصفه بأنه منزل من اللوح ، وكان حالاً فيه والتنزيل صفة الحدوث ، وكونه حالاً في اللوح ، فاللوح حادث ولا يجل في الحادث إلا حادث عقلاً وبديهة وهذه الصفات كلها تعطى منتهى الحدوث .

ووصفه بأنه آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وصدورهم حادثة ، والحال في الحادث حادث قطعاً ، لأن القديم منزّه عن الحوادث ، فالله عز وجل لا يطرقه معنى الحدوث ولا يليق به تعالى وإلا لم تصح الصفات الكمالية له تعالى ، وكلام الله ليس على وتيرة كلام الخلق ، وإن كان الكلام المعروف هو ما على المنهج المأوف تتألف كلماته من الحروف ، فإن الله جل جلاله خالق الحروف والأصوات والآلات التي بها يتكون ، والله منزّه عن هذا كله قطعاً .

ولنا قصيدة نونية في خلق القرآن جامعة لجميع صفات القرآن وحاوية لجميع صفاته ومعربة عن قواعد مبانيه كقيلة بكل ما يلزم فيه من أراد الإطلاع عليها فن الممكن .

قال المصدر اليماني الذي نتحدث عنه وأنه تعالى لا يرى بالأبصار في الجنة ، أى يقول الأباضية ذلك ، قلت نعم إن الله لا يرى في الجنة ولا في غيرها ، ولا يصح أن يرى ولو صح أن يرى لكان غير إله ، فإنه إذا كان يرى كان مطروفاً محاطاً متبعضاً متلوناً متميزاً في جهة من الجهات ، وهل يرى لكل أهل الجنة أم لبعضهم؟ فإذا كان يرى فهل في كل وقت أم في أوقات مخصوصة ، ويكون في غيرها محجوباً فالكل لا يليق به تعالى ، فإنه إن كان يرى فقد شابه المخلوقات والله يتعالى عن ذلك ، وما أظن هذى إلا من دسائس اليهود أعداء الله الذين قالوا لنبيهم موسى عليه السلام : أرنا الله جهرة ، فزجرتهم الزواجر فلم ينتجروا ، وأرسلت عليهم الآيات فلم يتفكروا ، وابتلاههم الله تعالى بعدة أشياء فلم يمثلوا ، وتأولوا القرآن ليضلوا به أهل العقول وحرفوه ، ووضعوا لإضلال الأمة أوضاعاً دسوها على ضعفاء المسلمين .

قال المصدر اليماني حاكياً عن الأباضية قالوا : وإن الثواب والعقاب أبديان . قلت نعم إن ثواب الله لعباده المؤمنين الجنة ، وإن عقاب الله لأعدائه النار ، وإن الجنة والنار لا يفنيان ، ومن اعتقد فناءهما كفر شركاً ، لأن الله قال في الجنة : (خالدين فيها) . وكذلك قال في النار والعياذ بالله منها في مئات من الآيات ، وصرح جل وعز بذلك . فالثواب والعقاب أبديان ، وكذلك ثبت في السنة النبوية ، إذ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار جرى بالموت فيذيب بين الجنة والنار ، وينادى مناد يا أهل الجنة خلود ولا موت ويا أهل النار خلود » .

وعلى هذا عقيدة الأباضية متابعة القرآن وسنة المصطفى من آل عدنان

صلى الله عليه وآله وسلم ، ومن خالف هذه العقيدة متأولاً فهو فاسق ضال منافق كافر نعمة ، ومن خالفها بغبر تأويل فهو كافر شركا ، قال ويقولون إن الله يغفر الصغائر ولكنه لا يغفر الكبائر إلا بالتوبة ، قلت نعم العقيدة التي يسندها القرآن ويدل عليها البرهان :

قال عز وجل : ( إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ) ، (والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم) الآية ، وثبت في الصحيح أن الصغيرة معفوة باجتناّب الكبيرة إلا إذا أصر عليها صاحبها ، فإن نفس الإصرار يجعلها كبيرة ولا يكتب الملك على العبد الصغيرة ما دام لا يقارن الكبائر ، فضلاً من الله ومنه :

وذلك لأن الصغائر من الأمور التي تعم البلوى ، فعفا الله عز وجل منها عباده عندما يجتنبون الكبائر ، فلأنها هي التي يعصى بها الإنسان ويستحق بها العذاب عنده ، ومن تاب من ذنبه سواء كان الذنب كبائر شرك أو غيرها ، فإن الله يغفر له ذنبه ويعفيه مما اقترف ، فهو الذي فتح باب التوبة لعباده الذين رجعوا إليه ناكسين عما اقترفوا راجعين بالاعتراف لحقه ، وبفضله عز وعلا جعل باب التوبة مفتوحاً لعباده حتى تطلع الشمس من مغربها ، ومقبولة من العبد ما لم يغرغر بالموت فضلاً منه تعالى ومنه .

وهنا ينسد عنه باب التوبة وليس هناك باب بحسب ما هو في نص الحديث ، وإنما هو كناية عن قبول التوبة وردها ، كما قال عز وعلا : ( والكلم الطيب يرفعه ) فلأنما هو كناية عن قبوله ، ولا يخفى أن المقبول أياً كان مرفوع الرتبة معنوياً لا حسباً ، والحمد لله الذي يقبل التوبة عن عباده

ويعفو عن السيئات ، وهذا من أعظم من الله على عباده ، وكم رغب عز وعلا في التوبة ودعا إليها في القرآن ، وكم حض عليها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سننه ، وكم دعا أمته إليها .

قال المصدر المذكور : وهم يرجعون إلى الكتاب والسنة فقط ، ولا يعملون بالإجماع والقياس . قلت في هذه الجملة حق وباطل :

أما الحق فهو قوله يرجعون إلى الكتاب والسنة ، وأقول نعم المرجع إليه كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ، وهما اللتان قال فيهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وسنتي » في أحاديث أوردها أهل العلم في هذا المقام .

وأما الباطل فهو قوله : ولا يعملون بالإجماع والقياس ، وهذا افتراء عليهم أو جهل بمذهبهم ، أو غباوة عما عليه القوم أو تعام عمائم عليه ، أو هو لا يعرف الإجماع والقياس ، وكان عليه أن يطلع على عقيدة القوم وعلى آثارهم حتى يتكلم إن شاء عن خبرة ، وأراه أخذ هذا الكلام عن شكيب الملق على كتاب حاضر العالم الإسلامي ، فيتوجه النقد عليهما ، لأن الجهل من الرجلين والقصور والتقصير منهما معا ذلك أعنى الأول بجهله ، والثاني بعدم التحقق عن الموضوع الذي يروم نشره ، فإن بكل واد بنى سعد وإن الناقد بصير ، فما الداعي على أن ينسب القوم أمراً لا أصل له ، والقضية دينية شرعية فقهية ، فما باله يقول ما لا يعلم ، فإن الله سائله عما قال ( ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ) فلعل الأباضية يقومون عليه بين يدي الله ، يقولون ياربنا نسب هذا إلينا ما لسنا منه من قبيل ولادبر ، وإذا عجز عن الجواب كان مدينا بما قال .

ثم قال أيضاً : إن الأباضية يقولون : إن كل مسلم مكلف أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، قلت نعم إن القرآن يقول بذلك ، قال الله عز وجل : ( كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ) فوصفهم بهذين الوصفين عموماً ، ولم ينخص أحداً من أحد ولا نوعاً من نوع ، وكذلك بقية الآيات تقول ، بل حتى النساء دخلن في عموم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، يقول الله عز وجل : ( والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ) .

وهذا واضح يؤيده العقل ، وقد وردت به أيضاً أحاديث عديدة صحيحة أوردها العلماء في مؤلفاتهم : لانظيل بها فنعم يقولون بما يقول ربهم ، ويعملون بما أمرهم أن يعملوا به ، وكل هذا يشهد لهم بصدق عقيدتهم .

قال نفس المصدر المتكلم عنهم في معاملة : وإن على كل مسلم واجبات مفروضة نحو أخيه المسلم ، فمن لم يقيم بما فرض عليه من هذا التضامن الديني خسر حقه في حنو إخوانه عليه ، قلت نعم هذا هو الصحيح الذي جاءت به الشريعة الإسلامية في نصوصها المضيئة لإضاءة الشمس يقول الله عز وجل : ( إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم . . . ) ويقول : ( وتعاونوا على البر والتقوى ) ، ( يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ) ، وكونوا عباد الله إخواناً وعلى الخير أعاوناً ، ومعنى كونوا إخواناً أى كل واحد منكم يجب عليه أن يكون للمسلم كالأخ لأخيه في حنوه عليه وشفقته ورعايته ، والاهتمام بشأنه لاسيما إن نزل به كارثة أو وقع في مأزق أن يكون له عوناً في كل أحواله ، وأن ينصحه إذا استدعى الحال إلى النصيحة ، وأن ينصح

له أيضاً ، والمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يخطف على خطبته ، ولا يساوم على سومه ، ولا يؤذيه حتى بقتار ربح الطعام ، وكل ما يدخل عليه الشره من نحو الطُرف التي يراها أولاده وأهله وذووه الذين هم بجواره ، لأن الإسلام جاء ليلحم بين المسلمين فيجعلهم كشيء واحد ، وبذلك يستحكم أمرهم .

ألا ترى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آخى بين المسلمين من الأنصار والمهاجرين حتى آخابين المهاجرين بعضهم مع بعض ، وكذلك الأنصار لتقصد أن يكونوا يداً واحدة ولساناً واحداً وعقيدة لحمة وسداة ، ومن لم يكن كذلك فليس منهم في شيء .

قال المصدر المشار إليه : ووجبت معاملته نظير عدو إلى أن يتوب وينيب ، أى يرجع عما هو عليه ، ثم قال هذا ما ذكره الأمير شكيب أرسلان في حاضر العالم الإسلامى ، ومثله في الملل والنحل للشهرستاني ، قلت نعم وإن كان خلطاً فيما قالوا فإنما هما كما يقول القائل :

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود

وكم طويت فضائل الأباضية بيد الحسد ، وكم معالمهم في أدوار شتى من العالم الحيوى الذى مازال الأباضية يظهرن فيه ظهور الشمس في رابعة النهار ، ولكن أين المنصف الذى يعرف لكل فضل فضله ، ويعطى كل أمة حقها .



## نسبة الإباضية

قال المصدر اليانى الذى نأخذ عنه روايتنا فى هذا الصدد : وهم - أى الإباضية - ينتسبون إلى عبد الله بن إياض بكسر الهمزة وقد تلفظ بفتحها ، فلذلك سموا إباضية قال : وهو المذهب الغالب فى بلاد عمان ، قال ومنها امتد إلى زنجبار ، وقد ظهر هذا المذهب فى شمال أفريقيا فى أواسط القرن الثانى للهجرة ، وانتشر كثيراً بين البربر ، قلت لقد ذكرنا هذا الذى قاله المذكور فى كتبنا « العرى الوثيقة شرح كشف الحقيقة » و « إزالة الوعثا عن أتباع أبى الشعثا » وفى « أصدق المناهج » وبيناً كل ما يلزم وما ينبغى فى بعضها بإيجاز ، وفى بعضها ببسط ، وكذلك أيضاً جاء فى كتابنا « المعهد الرياضى فى حلقات المذهب الإباضى » ولكننا لم نذكر شيئاً عن أحاديث أوردها صاحب المعالم فاستعرضناها هنا لنبين الوجه فيها حتى يعلم الناس عن هذا المذهب مورده ومصدره ، وليعلموا أن الحق لم ينأ عنه قيد شعرة :

قال كان نظر الخوارج يعنى الإباضية بدليل قوله فى آخر كلامه ، ولعل هذا القدر كفاية فى التعريف بالإباضية تمهيداً للحديث عن أباضية حضر موت ، فإن هؤلاء - أى أباضية حضر موت - فرع من أولئك ، أى أن أباضية حضر موت فرع من جمهور الإباضية ، لافرق بينهم . قال كان نظرهم إلى خلفاء بنى العباس كنظرهم إلى خلفاء بنى أمية كلهم لا يصلح للخلافة فيهم أحد ، فإن المسلمين خرجوا عن عمر بن عبد العزيز غير راضين عنه وهو أفضل رجل فى بنى أمية حتى أطلق عليه العبد الصالح :

ذلك أنه لما تولى الخلافة دخل عليه الإباضية وطلبوا منه رد أحداث

بنى أمية، فقال لهم : اتركوني أحيي كل يوم سنة وأميت كل يوم بدعة ،  
وذكر لهم رأيه في ذلك . فقالوا له : الإمام العدل لا تسعه التقيّة لازم تقوم  
حالا يرد أعمالهم المخالفة لأوامر الشرع ، فقال أمهلوني للغد ، وهو يريد  
اجتماع الناس للصلاة فلم يقبلوا منه ، وقال له ابنه عبد الملك : يا أباي ومن  
لك أن تعيش إلى الغد وأنت الآن قادر ، وكان أراد استعمال السياسة في  
الأمور ويراهما أولى في ذلك الحال ، وهؤلاء لا يرون مارآه فخرجوا عنه  
مغاضبين له ، فلامهم العلماء الذين لهم البصائر الواعية على ذلك ، لأن  
رد تلك الأحداث التي يشيرون إليها ليس بالهويناء ، وربما ثارت من  
أجلها فتن وهكذا كان الحال . ويرون كما يقول في ضحى الإسلام . لم يختر  
اختياراً صريحاً ، ولم يستوف الشروط التي يجب توافرها في الإمام ،  
وكلهم يجب الخروج عليه ومقاتلته وعزله إن أمكن وقتله إن أمكن .

والمعنى أن الإمام يجب أن يكون عن رضا أهل الحل والعقد، وإذا قام  
وانحرف عن الجادة المشروع سلوكها يجب أن يعزل ، وإن لم يعتزل يقتل  
كما قتل المسلمون عثمان بن عفان بعدما بايعوه على وتيرة من قبله ، وعدل  
فيهم ست سنين لم يقولوا فيها شيئاً ، بل كلهم راضون عنه . . . . . خاضعون  
لأمره ، حتى دخل عليه أهل الأغراض الدنيوية وأدخلوا على أفكاره أشياء  
ما كان يظن تبلغ ما بلغت حتى انتهى أمره بقتله فقتلوه ، ولم يبالوا به  
لأنهم رأوا أنهم يقتلونه ديناً .

وما مثار معاوية في طلبه هذا إلا حيلة أراد بها شق العصا لعلي ،  
لعلمه أن علياً يعزله فإن دمه إلى أولاده وأولاده تحت راية الإمام  
العاقل ، وهو علي بن أبي طالب ، بل على أحفى بالانتصاف من المجرمين ،  
وأى جريمة أكبر من قتل إمام المسلمين بين ظهراني المسلمين ، وهم

قادرون على الانتصاف من القاتل لو كانوا رأوا أن قتله كان حراما  
وهم خيار المسلمين ببقية الأنصار والمهاجرين ، وكيف وقد بابعوا عليا  
ليقوم بواجب الدين ، ولذلك لم يقيم على علي أحد من المسلمين في شأن قتل  
عثمان ، حتى إنه لم يشيعه عند دفنه من خيار المسلمين ، بل ولا من  
أشرارهم ، ولم يتركوهم أن يدفنوه في البقيع حيث يدفن المسلمون موتاهم ،  
بل دفنوه في حش كوكب شرقي البقيع ، فجاء معاوية أيام خلافته حين  
صارت السلطة إليه فأمر بإدخال حش كوكب في البقيع .

فالأباضية لشدتهم في الدين ومراقبتهم لأوامر رب العالمين يشتدون نظراً  
لتلك السيرة التي سار عليها أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وسارها عثمان  
في سنته الأولى .



## أدب الإباضية في نظر أحمد أمين

لقد تكلم أحمد أمين في الجزء الثالث منه الذي سماه ضحى الإسلام ، قال : لقد كان فيهم كل العناصر التي تكون الأدب عقيدة راسخة لاتزعزعها الأحداث ، وتحمس شديد لها تصون بها الأرواح والأموال ، وصراحة في القول والعمل لاتخشى بأساً ولا ترهب أحداً ، وديمقراطية حقة لا ترى الأمير ولا العظيم إلا خادهم ، ورسم الطريق عندهم الذي ينبغي أن يسلكوه رهياً مستقيماً واضحاً لا عوج فيه ولا غموض يجب أن يعدل الخليفة والأمراء وألا يقاتلوا ليحل محلهم مسلمون مخلصون طاهرون ، ويجب أن يسير المسلمون بحسب نصوص الكتاب والسنة من غير أن ينحرفوا عنها قيد شعرة ، قلت هذا هو الصحيح وهذا المنهج الذي نهجه أئمة الإباضية في كل الأجيال ، ومن ظن غير ذلك فليقرأ تواريخهم ، ومهما وجد هفوة واحدة لم تشملها النصوص الصحيحة فيعلنها للملأ في كل مقام ، وإذا انحرف الأئمة عن واجب الكتاب والسنة يقام عليهم ليرجعوا إلى الكتاب والسنة ، وألا يقاتلوا فإنهم لم ينصبوا للهوى أو لاتباع ما تهوى الأنفس ، بل أقيموا للناس ليحملوهم على نهج الشريعة الإسلامية لا غير ، وإلا عم الفساد وانتشر الضلال ، ويجب أن يسلك المسلمون السبيل الصحيح من غير مجاملة ، ولا مجاملة ولا مواربة ، ويجب أن يقابل الواقع كما هو ويشخص كما هو ويعالج كما هو على طريقة عمر ابن الخطاب لا على طريقة عمرو بن العاص .

قلت : لو قال لا على طريقة معاوية بن أبي سفيان . قال ووراء ذلك كله نفوس بدوية يعنى معها الصراحة ، قال غالباً فيها الاستعداد للقول

وفصاحة اللسان ، وفيها كل ما نعهده في البدوى من قدرة على البيان ،  
أى فى الحجاج وسرعة البديهة وأداء المعنى ، بأوجز عبارة يصفهم بالصفاء  
وحضور الأذهان وإقامة الحجج الناصعة والبلاغة الصحيحة والفصاحة  
الصريحة .

قال مصدرنا الجانى : نرى من هذا كله العاطفة القوية والأداة الصالحة  
للتعبير عنها ، قال وهذا الذى ذكرناه جعل لأدبهم لوناً خاصاً ، فأدبهم أدب  
القوة أدب الاستماتة فى طلب الحق ونشره وأدب التضحية ، فلا تستحق  
الحياة البقاء إلا بجانب العقيدة أدب التعبير البدوى الذى لا يتفلسف ولا  
يشقق المعانى ويولدها يغضبون للعقيدة وللإسلام عامة ، بقطع النظر عن  
الأشخاص ، و إن نظروا للأشخاص ، ففى ضوء العقيدة لا كما  
يفعل غيرهم ، وقد يرثون ويبكون ، ولكنهم حتى فى رثائهم  
وبكائهم أقوىاء يذرفون الدمع ليسفكوا الدم ، ويكون الميت ليتشجع الحى ،  
ويندبون المفقود ليرثموا المثل الأعلى للموجود لا يعرفون هزلا فى الحياة ،  
ولا يعرفون هزلا فى الأدب ولا يعرفون خمراً ولا مجونا ، بل لاتجد الخمر  
والمجون فى أدبهم ، إنما يعرفون الجهاد والقتال والتربية المتزمتة القاسية التى  
تخرج رجالاً أقوىاء لا يجرصون على الحياة فكذلك أدبهم . انتهى ما قاله فى  
ضحى الإسلام بشأنهم .

## صوت طالب الحق يبد أظهوره

لكل شيء مبدأ ينبج منه وعهد يقوم فيه وعهد طالب الحق يعرف  
مبدأه بهذه الآونة .

قال في الأغاني : أخبرني الحسن بن علي الخفاف ، قال  
حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني عن محمد بن أبي محمد  
الخزاعي ، وخلاّد بن زيد وعبد الله بن مصعب وعمرو بن هشام وعبد الله  
ابن محمد الثقفي ويعقوب بن داود الثقفي وحرّيم بن أبي يحيى : أن عبد الله بن  
يحيى الكندي أحد بني عمرو بن معاوية كان من حضر موت ، وكان مجتهداً  
عابداً ، وكان يقول قبل أن يخرج : لقيني رجل فأطال النظر إليّ ، وقال  
من أنت ؟ فقلت من كندة ، فقال من أيهم ؟ فقلت : من بني شيطان ،  
فقال : والله لتملكن وتبلغن خيلك وادي القرى ، وذلك بعد أن تذهب  
إحدى عينيك ، فقد ذهبت وأنا أتخوف ما قال لي وأستجير بالله ، أي من  
ذلك الكلام الذي قاله لي ذلك الرجل ، وما يترتب عليه ، قال : فرأى  
باليمن جوراً ظاهراً وعسفاً شديداً ، وسيرة في الناس قبيحة ، فقال لأصحابه :  
ما يحل لنا المقام على ما نرى ولا يسعنا الصبر عليه ، وكتب إلى أبي عبيدة مسلم  
ابن أبي كريمة مولى بني تميم ، وكان ينزل في الأزدي وإلى غيره من الأباضية :  
أي كتب عبد الله إلى أبي عبيدة وغيره من الأباضية بالبصرة يشاورهم في  
الخروج ، فكتبوا إليه إن استطعت أن لا تقيم يوماً واحداً فافعل ، فإن  
المبادرة بالعمل الصالح أفضل ، ولست تدري متى يأتي عليك أجلك ،  
ولله خيرة من عباده يبعثهم إذا شاء لنصرة دينه ويخص بالشهادة منهم  
من يشاء .

قال وشخص إليه أبو حمزة المختار بن عوف الأزدي أحد بني سليمة  
وباج بن عقبة بن الهيصم الأسدي في رجال من الأباضية قدموا عليه  
حضر موت ، فحثوه على الخروج وأتوا بكتب أصحابه يقولون له : إذا  
خرجتم فلا تغلوا ولا تغدروا واقتدوا بسلفكم الصالحين ، وسيروا سيرتهم  
فقد علمتم أن الذي أخرجهم على السلطان العيب لأعمالهم . فدعا أصحابه  
فبايعوه وقصدوا دار الإمارة وعلى حضر موت إبراهيم بن جبلة بن محرمة  
الكندي فأخذوه فحبسوه يوماً ثم أطلقوه فأتى صنعاء .

## ظهور الأباضية

قال المصدر الذي أورد أحوال الأباضية : وكلما نعرفه عن الأباضية حتى الآن ظهورهم في حضر موت كقوة سياسية ذات شأن بدأ سنة ٥١٢٩ هـ ، والمعنى كانوا قبل هذا الوقت من جملة أهالي حضر موت تشملهم الإمارة الأموية ، ولكن عندما أعلن عبد الله بن يحيى الكندي المعروف بطالب الحق ثورته على آخر خليفة أموى كما سبق ، أى عندما قامت إمامته قام معلنا الثورة ، قال : واستقل بالأمر في حضر موت واحتل اليمن والحجاز . قال وتتلخص دعوته في هذا الجزء من خطبته التى ألقاها في جامع صنعاء عقب احتلالها ، فقد قال : أى إن عبد الله بن يحيى رحمه الله لما احتل صنعاء ، وتم له الأمر فيها ، خطب أهل صنعاء خطبة أبان لهم فيها ما يدعو إليه وما يأمر به وما ينهى عنه . فقال رحمه الله :

« إننا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام ، وإجابة من دعا إليهما ، الإسلام ديننا ومحمد عليه الصلاة والسلام نبينا ، والكعبة قبلتنا والقرآن إمامنا ، رضينا بالحلال حلالاً لانبغي به بديلاً ، ولانشتري به ثمناً قليلاً ، وحرمانا الحرام ونبذناه وراء ظهورنا ، ندعوكم إلى فرائض واجبات بينات وآيات محكمات وآثار تقتدى بها ، وأشهد أن الله صادق فيما وعد وفيما توعد ، عدل فيما حكم ، ندعو إلى توحيد الرب واليقين بالوعد وأداء الفرائض والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والولاية لأهل الله والعداوة لأعداء الله . »

هذه خطبة الإمام الرضى طالب الحق رحمه الله ، فهل سمعتم أيها

المسلمون من يدعو إلى طاعة الله وطاعة رسول الله ، وطاعة أهل الحق من المسلمين فيمن سبق من أمراء غير الأباضية رحمهم الله .

تم ذكر المصدر المشار إليه بعد هذا طرفاً من خطبة أبي حمزة الشاربي رحمه الله لجرد التنظير ، حيث يقول فيها :

« إنا لم نخرج من ديارنا وأموالنا أشراً ولا بطراً ولا عبثاً ولا غدرآءً ، ولكننا لما رأينا مصابيح الهدى والحق قد عطلت ، وعنفت القائل بالحق وقتل القائم بالقسط ، ضاقت علينا الأرض بما رحبت ، وسمعنا داعياً يدعو إلى طاعة الرحمن وحكم القرآن ، فأجبنا داعي الله ، ومن لم يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض ، أقبلنا من قبائل شتى كل جماعة منا يتعاقبون على بعير واحد عليه زادهم ، أي فقط لحمل الزاد لا لركوب ، لأننا فقراء لسنا ملوكاً ولا نريد ما يريد الملوك ، وأمثالهم من الأمراء قليلون مستضعفون في الأرض ، فأوانا الله وأيدنا بنصره فأصبحنا بنعمته إخواناً ، ثم لقينا رجالكم بهتديد ، أي الموضع الذي وقعت فيه الواقعة قد اعترضونا ليصدونا عما له خرجنا ، قال فدعوناهم إلى طاعة الرحمن وحكم القرآن ، ودعونا إلى طاعة الشيطان وحكم آل مروان ، فشتان لعمر الله ما بين الرشد والغى ، قال وأنتم يا أهل المدينة إن تنصروا مروان وآل مروان يسحتكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا ويشف صدور قوم مؤمنين » .

هذا الذي أورده المصدر اليائى في المعالم ، فانظر أيها العاقل بين الدعوتين واعتبر ما يدعو إليه أبو حمزة وما يدعو إليه المرآونة الطغاة وأمثالهم ، تجد الفرق وتفهم القصد وتعلم الحقائق .

ثم أخذ في الحديث عن ابن عطية وسيدته وخليفته ، ثم ذكر الدين  
نعرضوا لقتله في الطريق هو ومن معه بمن قتل من رجال الأباضية ،  
ولما قعد قاتله على صدره طلب العفو منه ودس له الخيلة ليعفيه . فقال له :  
يا عدو الله أترى أن الله كان يمهلك أو تطمع في الحياة وقد قتلت طالب  
زلحق وأباً حمزة الشاربي وبلجاً وأبرهة ، أى هؤلاء هم سادة رجال  
الأباضية . قال فقتله وبعث برأسه إلى شبام ، ثم ذكر ثورة ابن أخيه على  
حضر موت وما كان منه فيها بجيش كثيف من طعام اليمن الذين سيطر عليهم ،  
وفعل الشنائع في أباضية حضر موت ، إذ قتلوا الرجال والنساء والصبيان ،  
وهم أن يعدم حضر موت من الأباضية حتى الأطفال .

وهذه أفعال هؤلاء الناس وتلك أفعال الأباضية الذين لا يتعدون حدود  
الله ولا يرضون بغير ما حكم الله ، ولا يرضون بتخريب الديار التي  
يدخلونها فاتحين ، ولا يرضون أن يكذبوا صفواً أحد من المسلمين لم يخرج  
لحاربهم ، وهؤلاء خربوا دور هينن وقعوضة والخينيق وحورة وكثيراً  
من دور شبام ، والحقيقة أخبرنا للقرآن عنهم إذ قال : ( إن الملوك  
إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون ) ،  
أى وهذا دأبهم .

ثم أخذ المصدر في الكلام عن العباسيين فقال : وجاء العهد العباسي  
فلم يكن الحال فيه بحضر موت بأحسن من الحال في العهد الأموي ، قال  
فسرعان ما قتلت الأباضية عاملهم أى الوالى عليهم في تريم في عهد المنصور .  
قال وكان هذا العامل فاسقاً ظالماً . قال وانتقضت البلاد كلها على معن  
ابن زائدة والى المنصور على اليمن ، وفعل هذا المعن من الفظائع ماشوه به  
ناريخه وأبقى بعده أحدوثة سيئة ، وترك في حضر موت ابنه والياً على

البلاد ، وهذا أظلم وأظفى ، ثم عاد إلى صنعاء قال ولم يفلت معن من نقمة  
الأباضية ، فقد تبعه رجلا ن منهم وهو فى طريقه راجعاً إلى سلطانه يريد  
لحرب خراسان ، فقتلاه فى الطريق حيث لم يظن أنهم يصلونه ، ثم  
غمض تاريخ البلاد بعد هذا الحادث .

قال فإننا نجد فى التاريخ أن الأباضية هم المسيطرون على شتون حضرموت  
عندما قدم المهاجر أحمد بن عيسى العلوى من البصرة فى أول دولة  
آل زياد أول القرن الرابع الهجرى ، وكان هذا قدم على اليمن والياً وهو  
من أهالى البصرة .

قال المصدر المذكور فقد ذكر أحد المؤرخين من الحضارم : أن  
الأباضيين تألبوا على المهاجر وحاولوا زحزحته من حضرموت ، وأن أهل  
السنة والشيعة بحضرموت حاولوا نصرته فاجتمعت كلمتهم عليه ، ولعل القصد  
لعداء الأباضية لأن أهل الجور والظلم لا ترضى الحق ، وإذا بالمهاجر هاجر  
من البصرة إلى حضرموت واليمن لقتل الأباضية ، وأن الإمدادات للمهاجر  
تأتى من البصرة من أمواله يجهزها له ولده ، للأباضية تأتى من عمان وغيرها  
والبصرة ذلك من أمواله ، إذ كان تاجراً وله أموال ، والأباضية تأتيمهم  
معونات من أصحابهم من عمان وغيرها ، والملاقة فى حضرموت واليمن .

قال ف وقعت وقائع بين الطرفين هامة تشيب لها الأطفال ، و آخر وقعة  
وقعت بينهم ببهران من المهجرين انكسرت فيها شوكة الأباضية ، وانتقل  
المهاجر من المهجرين على أثر هذه الوقعة ، ونزل قادة بنى جشير خوفاً من  
هجوم الأباضية عليه ، وهذه الحرب كلها أثارها الخلاف المذهبى ، لأن  
السياسة اقتضت هذا الحال ، فإن للعقيدة انتقاداً قد لا يطفأ لهبه بين الأباضية ،  
والمهاجر المذكور ، وإن الأباضية يقاتلون من أجل العقيدة فى أغاب

حروبهم ، ولذلك لم يستطع المهاجر أن يسكن المدن الكبرى في حضرموت كشباب وتريم .

قال المصدر الرافع للقضايا : إن عواصم حضرموت كانت تزخر بعلماء الأباضية وذوى الرأى والقوة منهم ، فكان يختار القرى يمكن أن يجد له فيها أنصاراً من السنيين والشيعية . قلت إن هذه العبارة تدل بمنطوقها ومفهومها على قوة الأباضية في حضرموت حسية ومعنوية ، فإن قوله : كانت تزخر بعلماء الأباضية وذوى الرأى والقوة منهم ، وهذا الناقل هو سنى المذهب ، لكنه جاء بالحق الواقع ، وكان الوالى المسمى المهاجر يخاف سطوة الأباضية وأنهم ولو هلكوا جميعاً لايبالون فى سبيل نصرة دينهم ، لاسيما الطبيعة اليمانية حارة فوق الحد ، والحق هو الذى يوقد نار الأباضية كما وصفهم أحمد أمين فى ضحى الإسلام . فكان المهاجر من الجيل إلى دوعن (١) وإلى المهجرين (٢) يتردد على هذه القرى .

قال ولما وجد الأباضية الفرصة سانحة للانتفاض والثورة فى عهد محمد بن يعفر الحوالى الذى كان فى وقته كملك مستقل فى صنعاء فى سنة ٢٦٣ هجرية ، وإن كان يدين بالطاعة للمعتمد العباسى بن المتوكل ، وفى هذا التاريخ كان نفوذ آل زياد قد تقلص من صنعاء وما حوالها ، وانحصر فى تهامة ، فعمل اليعافرة لإخضاع ثورة الحضارم ، وأقاموا الهزلبى الحضرمى حاكم شبام نائباً ، قلت هذا الكلام المشروط بقوله : ولما وجد الأباضيون الفرصة سانحة للانتفاض والثورة فى عهد محمد بن يعفر الحوالى ، ولم يتبين ماذا فعل الأباضية لما وجدوا الفرصة سانحة إلخ . كأن التاريخ تلاشى والنسبة

(١) من بلاد حضرموت مشهورة .

(٢) المهجرين كذلك من بلاد حضرموت . أ ه .

غموض أعرب عن آل زياد الذين لم يسبق لهم ذكر في هذا المقام ،  
وذكر تقلص ظلهم من صنعاء وما حوالها ، وانحصر في تهامة ، وأشار  
إلى عمل اليعافرة لإخضاع ثورة الحضارم لم أدر هل المراد بهؤلاء  
الحضارم الأباضية أم غيرهم ؟

وسار المؤرخ المشار إليه في غموضه حتى تبين له وميض يدل على  
عدم وجود المصدر الذى يأخذ عنه حيث قال : ونسأل المصادر التى بين  
أيدينا عن كان يتزعم الحركة الأباضية ، ويقول شئونها بعد قتل عبد الله  
ابن يحيى الكندى إلى أواخر القرن الرابع الهجرى ، فتعصم بالصمت ، أى  
لا تجيب فإن التاريخ قد خانها .

قال كما أنها لم تشر من قريب ولا من بعيد إلى مراكز الثورة على الخلفاء  
والمملوك اليمنيين من اليعافرة وآل زياد ، وكيف كانت الحالة الثقافية  
والاجتماعية في هذه الفترة ، لقد ضاعت إذن أو فقدت مصادر تاريخ هذه  
الفترة ، ولكن لماذا لا أرى ؟ غير أنى وجدت السيد علوى بن طاهر الحداد  
في كتابه الجنى الشماريخ يقول :

بسبب ذهاب تواريخ حضرموت القديمة وانطماسها أن الأخلاف  
رأوا في سيرة الأسلاف ما ينكرونه منهم اليوم ، فعمدوا إلى إخفائها  
وإفنائها .

قال ثم لا يذكر السيد علوى عن هؤلاء الأخلاف المدهشين وماذا  
كانوا ينكرونه على الأسلاف . قلت الذى فى نفسى أنهم وجدوهم  
أباضية ، وقال لهم العدو هؤلاء خوارج ، وأنهم على غير حق لقصد

سياسى ، ولا أظن شيئاً غير هذا ، وإن قال سعيد عوض باوزير  
وبصرف النظر عن صحة هذه الرواية أو عدم صحتها ، قلت بل صحتها عندى  
من باب الظن أن الناشئة لا تريد أن تكون خوارج ، والخوارج كفار  
وقد ملئت الكتب باسم الخوارج فكانوا لا يطلقون على الأباضية إلا خوارج ،  
وعميت الأعين والقلوب التى فى الصدور عن الخوارج ، فلم يصفوهم باسم  
الخوارج فى الكون إلا الأباضية .





## للصراع بين الحق والباطل

ويقول القاضي اليماني عبد الله بن عبد الوهاب المجاهد الشماخي : بلغ النشاط الفارسي والشعوبي نهايته ضد العرب والإسلام أيام مروان بن محمد الأموي ، وقد كانت الدعاية القوية للدولة الأموية هم العشاير اليمنية ، ولذلك توجه الفارسيون والهاشميون معاً بدعائياتهم إلى فصل تلك العشاير اليمنية عن الأموية ، وساعدهم ضعف الخلفاء بعد هشام . قال ويأتي مروان بن محمد بكماله : قال واتسع الخرق على الراقع ، فإذا بالوضع شيتزلزل وبالعقد ينحل فينفجر بثورة طالب الحق أيام مروان بن محمد ، اندلعت تلك الثورة عام ١٢٩ هـ من حضرموت ، فالتهمت اليمن والحجاز وتناولت الحرمين مكة والمدينة ، وأصبحت الجزيرة العربية مشمولة بنفوذ طالب الحق مما اهتز لها عرش مروان بدمشق هزة ثمل لها الفارسيون ، ورقص لها الهاشميون ، وذعر لها مروان بن محمد الخليفة مما حمله إلى المبادرة لإخماد ثورة طالب الحق من غير تفكير للعواقب ، فإذا بمروان يقذف معظم جيوشه وفيهم اليمانيون بقيادة عبد الملك بن عطية إلى ساحة المعركة التي كانت من أشد المعارك ضراوة وحرارة .

وقد تمكن عبد الملك بن عطية في التغلب على طالب الحق وأبى حمزة ، ومن تتبع الأباضية في حضرموت الذي أوسعها عنفاً وتخريباً مما أثار عليه فلول الأباضية ، فقد تعقبوه عند منقلبه من حضرموت إلى مكة فقتلوه مع من كان معه ، أي قتلوهم كلهم .

قال وبلغ مصرعه إلى أخيه عبد الرحمن بن زيد بن عطية وهو

بصنعاء ، فاستصرخ همدان وقبائل الشمال وأغار بهم بقيادة شعيب البارقي الهمداني على حضرموت ، فأسرف فيها قتلاً ونهباً وتخريباً . قلت هذه كانت أعمالهم فهل وجدت أيها القارئ الكريم خربوا بلداً دخلوه أو مكاناً احتلوه طيلة خصامهم مع أي القبائل المعادية لهم ، قد لا تجد ذلك من أعمالهم حتى في اليهود والنصارى . قال وقد كانت هذه الحرب المشثومة أعظم سبب لإضعاف العرب وانتهاء الدولة العربية الأموية ، فقد ألهمت جيوش مروان المدربة ومعظم قواده ، كما طحنت فرسان اليمن ومغاويره ونشرت الخراب في أنحاء الجزيرة العربية ، قال وقد استمر الأباضية في سيطرتهم على حضرموت من بعد طالب الحق عدة قرون يناضلون الغزاة ، وظلت اليمن في غليان ارتفعت درجة حرارته في العهد العباسي ١ هـ .

فأفاد هذا أن يد الأباضيين لم تنزل من حديد ولم تنزل الروح الأباضية خالدة في أرجاء اليمن عدة قرون ، ولعل الفضل يعود إلى العالم العملاق أبو عبيدة إمام الأباضية في البصرة رحمه الله ، فإنه كان الشمس المضيئة في العالم الإسلامي . قال ولم يكن العهد العباسي أحسن حالاً مما كان عليه العهد الأموي ، فقد كان مشثوماً على العروبة والإسلام معاً ، ونكبة عميقة المبضع على اليمن .

ففي عام ١٤٠ هجرية قدم اليمن بعهد المنصور الطاغية معن بن زائدة ونصب أحد قرابته نائبا عنه بحضرموت ، وكان هذا النائب حليساً فسوقاً واستهتاراً وعنوان ظلم سافر ، فجاوز الحد ولم يسمع للحضرميين ، أي استغاثة فلم يبق إلا أن قتلوه بقيادة زعماء الأباضية . قال وانتقضت البلاد على معن فأقبل معن من شمال اليمن بجيوش ارتكبت من الفظائع

ما تشيب له الولدان، فقتل نحو خمسة عشر ألفاً من اليمانيين وسد عيون المياه بالرصاص ، وأجبر الناس على لبس السواد . قال ثم عاد إلى صنعاء مخلفاً وراءه المأسى ومستنياً ابنه على حضرموت . قال ولكنه لم يفلت من نقمة الأباضية ، فقد تعقبه منهم رجلان وهو في طريقه إلى خراسان فقتلاه أخذاً منهما بثأر الأبرار حماة العدالة والدار ، فسامهم حماة العدالة والدار ، ولم يذكر عنهم فسقاً أو فساداً أو تخريباً رحمهم الله ، وأعلى مقامهم عنده هذا وسوف ترى عنهم في هذا التاريخ ما تبتهج به سروراً ، ولم تجد لهم سوءة واحدة ، وهذا شأنهم ، ولو أراد الله لهذه البلاد خيراً لأبقى بها أمة الأباضية ، ولكن سنة الله في عباده أن من المحال دوام الحال ، وقد خلف الأباضية في هذه البلاد حسن الأحدوثة والذكر الحسن الجميل :

وإنما المرء حديثاً بعده فكأن حديثاً حسناً لمن وعى

ذلك لأن الإيمان يدعو إلى طاعة الله لا إلى طاعة مروان كما قال أبو حمزة [البطل رحمه الله ورضى عنه ، ولكل درجات مما عملوا والله يتولى من عباده الصالحين .



## الحق حليف الأباضية

كل العداوة قد ترجى لآزالتها إلا عداوة من عاداك من حسد والحمد لله لا يضر من سموهم خوارج إذ كانوا مع الله على حق ، وليس هذا بعجيب من قوم يقومون على إمام المسلمين يقاتلونه فيقتلون خيار المسلمين بغير ما ذنب يوازن جناح بعوضة ، ويقتلون عمار بن ياسر وأمثاله آلافا من المؤمنين ويشقون عصا المسلمين ، ويقال لأحدهم رضى الله عنه ويلعنون إمام المسلمين على رعرس الملاء بالقهر والأجرة ونحوها من سائر الأحوال ، والذي لا يعلن الإمام يطرد ويقال له رضى الله عنه . ويقال للأباضية خوارج سبحانه من وسع حلمه عباده .

قال المصادر الذى نعتمد عليه : قد مرت بحضرموت عن عصبية ونشبت فيها حروب وفتن كثيرة ، وتعرضت لنكبات من الداخل والخارج ، فلا يبعد أن تفقد كثير من المصادر التاريخية فى أثناء هذا العراك الدموى الذى أناخ بكلكله على حضرموت قرونا طويلة . وقال فى موضع ناء نقلا عن ابن شهاب إلا أن الأباضية كانت المذهب الغالب فى حضرموت فى القرن الرابع الهجرى ، وانظر كلام بعض أعداء الأباضية يقول :

ومن عجائب ما يراه الناظر فى تاريخ حضرموت أن الأباضية قد جلبوا على حضرموت من المصائب والبلايا والحروب والقتل ما يطول شرحه ، عهدتلك تقول : إن الأباضية هم علماء حضرموت ، وهم أهلها من أول ما عرف الدين فما بالك تقول لأنهم جلبوا لحضرموت من المصائب إلخ . ثم قال ولكنه لم يؤثر ذلك فى خراب حضرموت خرابا يمانل ما وقع فى الزمن الأخير ، فإنهم باحتلالهم حضرموت واستغواهم أهلها ورميهم بهم فى

تلك النحلة قد جعلوا العالم الإسلامى إلباً ، جعل هذا الجبان الذى يفزع الحرب ولا يعرف معنى الجهاد ما هو ، وأظن أنه لم يُحدثه نفسه به خلافاً لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما حين قالوا والله لو لم نجد من يقاتلهم معنا إلا الذر لاستعنت به عليهم ، وما قاله أبو بكر فى حرب أهل الردة وما قاله عمر بن الخطاب لأبى سفيان إذ جاء يطلب تمديد هدنة الحديبية :

خلق الله للحروب رجالاً  
ورجالاً لقصة من تُريد

بل كل ما عند الفرق التى تتسم بالإسلام بغض الأباضية ، ولا بغض اليهود والنصارى ، ولكن كما يقول المثل حب الجبان الراحة ولو أصبح أمراه ، ولولا ذلك لما تمزق الإسلام خموراً وزموراً وخلاعة وإضاعة ، وأصبح معاهد للرقص والأغاني ، فأصبحت شهامة الرجال تطوى من قلوبهم وتوضع مكانها الأحوال التى حاربها القرآن ، وعلى كل حال لما كان الإسلام معروف الأصول معلوم القواعد مدروس المعارف ، كانت حضرموت وغالب اليمن أباضية ، ولما تصرمت تلك القرون التى شهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأنها خير القرون ، وجاءت القرون التى شهد عليه الصلاة والسلام بشرها . خلت هذه الأماكن من الأباضية وحل محلها من أشار إليهم الإمام السالمى رحمه الله حيث قال :

كان لنا عصر العلوم مشرقاً  
وبأفوله بدا م — ن فسقا

وسار هذا المؤرخ بقول : ونحن لا نعرف حتى الآن من هم زعماء الأباضية ورؤساء السياسيون بعد عبد الله بن يحيى الذى سار سنة ١٢٩ هـ سوى الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن قيس الهمداني الذى ظهر أمره بحضرموت فى

أوائل القرن الخامس الهجرى ، وحارب القرامطة والصلبيين . قلت  
استرحت من نصب الأباضية ولو كانوا حاربوا القرامطة عن بلادك ،  
وحاربوا الصليبيين وتلقوا بصدورهم رماح البغى وسهام العدو وسيوف  
الحيوش الغازية ، فبدل أن تشكروهم وتقدرُوا أعمالهم تبنزونهم بالإغواء  
ونحوه وتنسبون إليهم ما هم برآء لو لعنت الذين أخذوا من الأباضية دينهم من  
آبائك وقومك لكان أولى من إرسال سهام القدح فى أمة أثنى عليها وعلى  
علمائها ابن عباس أبو بكر وعمر رضى الله عنهم ، وجملة من أهل العلم .

قال ويبدو لنا أنه لولا تعرض كتاب التاريخ الإسلامى من غير الحضارم  
يعبد الله بن يحيى وإبراهيم بن قيس لم يصل إلينا الكثير من أخبارهما . قلت  
نعم هذا صحيح :

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا  
ويأتيك بالأخبار من لم تزود



## الجنود الظالمة

قال وواضح أن الأستاذ ابن شهاب يعنى بهجمات جنود الإسلام على حضرموت الحملات التي أرسلها مروان بن محمد ، ثم والى المنصور العباسى على اليمن وغيرهما من ملوك آل زياد واليعافرة لإخضاع ثورات الأباضية المتعددة . قلت نعم ما كان بحضرموت مهم يخافه هؤلاء إلا الأباضية ، فإنهم ما يرضون ما يرضى به غيرهم ، ولا يقولون أيضاً مقال المرجئة الذين هدموا الدين من أصله ، ويتجلى ذلك فى المذهب الأشعرى الذى لا يرضى أطفال الأباضية أن يقولوا بمقالته .

قال وفى رسالة للسيد عبد الرحمن بن عبيد الله ما نصه : إن المهاجروا حضرموت وهى تغلى غليان المرجل بالأباضيين والخوارج والأمويين نسباً العباسيين دولة ، فما زال هو وأولاده يقارعونهم بالحجج حتى أضرعوا حدود الأباضية وأخفتوا أصواتهم - قلت نعم إن المقصودين بالذات الأباضية لامن ذكر بعدهم ولاشك أن للسيف حكماً ليس (١) . . . وإذا خفتت أصوات الأباضية حين يرون الأمة بقضها وقضيضها عليهم ، وليست لهم قوة يدفعون بها عدوهم ، لاغرو إذا خضعوا يتحينون النصر من الله والدينا صراع ، وحكم التقية نصه القرآن الكريم : ( لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ) .

قال وقد ذكرت فى البضائع أن مجاهرة الإمام بنسبة بين أوائلكم الطوائف أقوى دليل على شهامته وصحة نسبه وما مجاهرته بالمذهب إلا دون

(١) بياض فى الأصل .

بجاهرته بالنسب . قلت لأعرف ما يريد بمجاهرة من سماه الإمام بنفسه ،  
أيريد أنه شيعي أم غيره ؟ وأن مجاهرته بنسبه لعله يعني أنه علوي ، وإذا  
كان علوياً فهل الدين علوي ؟ إنما يقول الله لنبيه عليه الصلاة والسلام :  
( وأنذر عشيرتك الأقرنين ) ، فأنذرهم إنذاراً صريحاً علناً يسمعه كل  
أحد ، فما معنى مفاد النسب هنا ؟ ولما قال إبراهيم الخليل عليه السلام :  
( ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ) ( قال لا ينال عهدي  
الظالمين ) ولا شك أن أباهب أقرب لرسول الله نسباً من غيره ، إذ هو عم  
النبي عليه الصلاة والسلام فلم تنفعه قرابته شيئاً ، وأقرب منه عمه أبو طالب  
الذي حمى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وناضل عنه ، وأقرب منه  
فاطمة الزهراء رضي الله عنها وفيها يقول رسول الله عليه الصلاة والسلام :  
« والله لو فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها » .

قال وجاء في أوائل العقد لشيخنا الأستاذ الأبر عن مواضع من المشرع  
أن المهاجر أضعف شوكة الأباضية بما أورده عليهم من صحيح الاستدلال .  
قال ثم تلاه الإمام العالم سالم<sup>١</sup> بن بصرى فأنزل البدعة إلى أسفل مرتبتها . قال  
عزهما الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم انتهى .

قال ويذكر عبيد الله في هذه الرسالة أن الأباضية بقيت على جانب من القوة  
إلى عهد الفقيه المقدم المتوفى سنة ٦٥٣هـ ، قال وإن تأخر استيطان العلويين بمدائن  
حضر موت ، إنما كان بسبب اختلاف المذاهب ، وأنه ما زالت المجاذبة بين العلويين  
وعلماء المدن الحضرية الكبرى حتى كانت الغاية الكبرى الاتفاق على منتصف  
الطريق ، قال فإن الذين تديروا ترميماً من العلويين وافقوا المشايخ في الأخذ  
بمذهب الشافعي وبعض الآراء الأشعرية ، وأكثر المشايخ بترجم وافقوا العلويين  
على القول بالقبطانية ، وهو المذهب الإمامي بنفسه . قال فإن لم يكن فإنه

إخوة فكل من الفريقين أخذ وأعطى إما بقصد وإما بطبيعة الاختلاط والاحتكاك ، فلا غالب ولا مغلوب اه .

فانظروا عباد الله هذا التلاعب الذى وقع فى الله من هؤلاء الناس الذين جعلوا دينهم ألعوبة بينهم ، وهم يدعون الدعايات الخبيصة أنها من المصائب التى تؤسف رسول الله عليه الصلاة والسلام فى دينه ، قال هذا هو رأى ابن عبيد الله أوردته ليكون من بين العلامات التى تتعرف بها الرأى الصحيح والحقيقة الناصحة فى موضوعنا عن الأباضية . قلت وما للأباضية فى هذا وهم أعداء والكل عليهم ، ولعل القوم أرادوا بذلك الوفاق ليكونوا ضد الأباضية بذلك ، إن هذا الشمل المجتمع على هذا الرأى أنه من الآراء التى تعرف للشيخ النجدي حى الله منه الأباضية وصاتهم :

قال صاحب معالم الجزيرة العربية : وفى أيام مروان ثار عبد الله ابن يحيى الكندي الحضرمى مطالبا بسقوط مروان المذكور سنة ١٢٩ هـ ، وأجلى عامل حضرموت بعد ما حبسه يوماً واحتل اليمن بأجمعه بعد قتال شديد ، وأنفذ جيشه إلى الحجاز واحتله ، هذا كلامه ولم يفصل شيئاً من الحوادث ، بل أجمل ذلك فى قوله : فاجتلت اليمن كله بعد قتال شديد ولم يذكره فى أى موضع ولم يذكر القائد الذى قاتله وهو القاسم بن محمد ، ثم اندفع إلى العهد العباسى ومن بعده ، فذكر الملوك والأمراء الذين سادوا اليمن إلى القرامطة ، ومن بعدهم ولم يذكر عن الأباضية شيئاً إلا ما كان من أمر حضرموت كما سوف تراه ، فإنه ذكر مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية :

قال فقد كان عامله فى صنعاء القاسم بن محمد ، وفى حضرموت

لإبراهيم بن جبلة الكندي . قال : وفي أيام هذا ثار عبد الله بن يحيى الكندي زعيم الأباضية في حضرموت ، وهذا يدل أن للأباضية زعمامة في حضرموت في هذا التاريخ المبكر ، أى في أول القرن الثاني .

قال وأجلى عامل مروان بحضرموت بعدما حبسه يوماً واحداً ثم احتل اليمن بعد قتال شديد واحتل صنعاء ودخلها دخول الفاتحين . قال ثم سير عامله أبا حمزة المختار بجيشه إلى مكة ، ثم إلى المدينة فاستولى عليهما ، فأرسل مروان جيشاً عقده لواءه لعبد الملك بن عطية . قتل عبد الملك بن محمد بن عطية لكنه نسبه إلى جده ولم يذكر الحرب التي لاقاها المختار والتي خاضها عبد الملك المذكور ، فقاتل أبا حمزة فهزمه في رادى القرى فالتجأ إلى مكة فجد في أثره وما زال يقاتله حتى قبض عليه وقتله .

قال ثم سار ابن عطية لقتال عبد الله بن يحيى فظفر به بعد معارك شديدة ، وقتله واستولى على صنعاء ، ثم حضرموت في حوادث يطول تفصيلها ، قلت ليتك فصلتها وأفدتنا عن تفصيلها ليعلم الأواخر أعمال الأوائل ، وهى أكبر فوائد التاريخ .

قال وطويت الصفحة لهذه الدولة الأموية بقتل مروان ، أى أن مروان سلب الله عليه من قتله ، كما أن الأباضية قتلت ابن عطية في طريق مكة كما سوف تراه ، وتولت الأمر الدولة العباسية بأول ملك منها ، وهو أبو العباس السفاح القائم في سنة ١٣٢ هـ ( ٧٥٤ م ) وصار أمر حضرموت في هذه الآونة إلى السفاح المذكور ، ولم نقف على سلسلة أعمال العباسيين في هذه الناحية إلا ما كان من عمل المنصور أخ السفاح الذى ولى معن ابن زائدة الشيبانى على اليمن ، وهذا أرسل أخاه عاملاً من قبله على حضرموت ، فأقام بتريم ؟

قال صاحب المعالم : وكان فاسقاً ظالماً سفاكاً فقتله أهل تريم وخلعت  
حضر موت كلها طاعة معن : قال فعزاهم وأثنى فيهم قتلاً حتى بلغ عدد  
القتلى خمسة عشر ألفاً . قال وسد العيون بالرصاص وأجبر الناس على لبس  
السواد الذى هو شعار العباسيين ، ثم عاد إلى صنعاء بعد هذه الأعمال  
الشيعة ، وأبقى ابنه زائدة والياً على البلاد ، وهذه الأحوال ليست من  
أعمال المسلمين فالعمال أهل بيت النبوة يفعلون ما لا يرضاه الله :

قال صاحب المعالم : ولما استدعى المنصور معناً لقتال الخوارج يعنى الأباضية  
فى خ أسان ، فإنهم إذ ذاك هم الحجة فيها وما يقتضيه الدين لا يرضاه أباضى  
أبدأ مهما كان ، واختار معناً لخرجهم ليفعل فيهم مثل ما فعل فى حضر موت ،  
فتوجه مجيئاً لسيدته ، فلحقه الأباضية فى الطريق فقتلوه أخذاً بثأر من أقتل  
من رجالهم ، وكان معن معروفاً بالحلم وصلاح النفس ، وهذه أعماله فى  
رضا سلطانه ، أما رضا الله عزوجل فغير مشول عنه والنفس أمارة بالسوء  
أو الكبرياء الفاضحة تغلب على النفوس الخبيثة :

قال صاحب المعالم : وتعاقب ولادة بنى العباس على اليمن وحضر موت  
حتى انتهت الخلافة إلى المأمون ، وظهرت الشيعة دعاة العلويين وانتشرت  
الفتن وقامت الحروب عهد المأمون ، فولى المأمون محمد بن زياد على اليمن  
سنة ٢٠٣ هـ فأخضع اليمن جميعها لحكمه ، ودخلت فى طاعته حضر موت  
والشحر ، فكان أول من أسس الدولة الزيادة باليمن والمعنى استقل باليمن  
ومشت الدولة العباسية القهقرى حتى انتهت :

...  
 ...  
 ...  
 ...  
 ...

...  
 ...  
 ...  
 ...  
 ...

...  
 ...  
 ...  
 ...  
 ...

## بدء انتشار المذهب الإباضي

قال صاحب نشأة حركة الإباضية ، وهو يذكر أبا عبيدة مسلم وقيامه بدعوة الإباضية وماله من اهتمام حد النشاط الحى ومالديه من عوامل رجالاتهم ومالا وسياسة بالغة الأهمية يقول : بالإضافة إلى هذه فقد خلق أبو عبيدة من أتباعه مجتمعاً تسوده المودة والمحبة والإخاء فى العقيدة وتسيطر عليه روح الجماعة ، وكان يحثهم على التآلف والتعاون ، قلت التآلف والتعاون قوة رجحة وحجة ناجحة ، وبذلك يأمر الإسلام وإليه يدعو كل الأنام :

وتعاونوا على البر والتقوى ، وكونوا عباد الله إخوانا وعلى الخير أعاوناً ، فإن أبا عبيدة من رجال الله الذين يهتمهم أمر الأمة ولذلك كان يحث القوم على التآلف والتعاون فيما بينهم . قال كما طلب من الأغنياء أن يكونوا عوناً للفقراء وسنداً لهم حتى لا يضطر الفقير من جماعته لاحتياج إلى أحد من المخالفين . قال وقد لبي الأثرياء منهم هذا الطلب بحماس منقطع النظير .

قال وتورد المصادر الإباضية أمثلة كثيرة تشير فيها إلى تنافس الأغنياء منهم فى سد حاجة الفقراء وأعطياتهم . قال يقول أبو سفيان يعنى محبوب ابن الرحيل رحمهما الله مدلولاً على ذلك : سمعت بعض مشايخ من أدركت يقولون إنا لندكر إذا دخل شعبان إن كان الفقراء من المسلمين الإباضية لتأثيرهم الأحمال بالسويق والتمر وما يصلحهم لشهر رمضان ولا يعلمون من بعث بها يأتى الرجل بالأحمال حتى يقف به على باب الدار ، فيقول ادخل فيكتب فى خرقة كلوا وأطعموا . قال ويروى أن شخصاً من الإباضية يدعى دبال (م - ٥ - الحقيقة وإجاز)

ابن يزيد كان يستأجر الأكسية البرد الشديد بألف درهم أو أقل أو أكثر ،  
وليس عنده منها شيء ، وإنما يتكفل على الله ثم على المسلمين الأباضية ، ثم  
يفرقها بين الفقراء ويجمع ثمنها بعد ذلك من الأغنياء الأباضية وكرمائمهم .  
قال وكان الداعية أبو الحر موسراً جداً وتأتيه غلته سنوياً فيقسمها نصفين ،  
يفرق في فقراء المسلمين الأباضية وفي معاونهم ، ليس هذا فحسب ، بل إن  
أغنياء كانوا يتسابقون في دفع الديون المتبقية على من يموت من أصحابهم  
الأباضية :

يقول أبو سفيان : مات حاجب ، أي أبو مودود أحد علماء الأباضية ،  
وعليه دين مائتان وخمسون ألفاً أو أكثر دراهم ، لكنها في ذلك الوقت  
عظيمة ، قال فدخل ابن عمر وجماعة من المسلمين الأباضية ليغسلوه ، فقال  
لهم قررة : يا قوم ما تقولون في دين هذا الرجل ؟ فابتدر ثلاثة رجال وقررة  
رابعهم وضمنوا دينه ، ودخل الفضل بن جندب ، وكان من خيار المسلمين  
الأباضية ، وكان موسراً ، فأخبروه فقال لهم الفضل : دينه على  
دونكم حتى أعجز عنه ولا يبقى لي مال . قلت هذا يدل على كرم نفوسهم  
وحس عواطفهم ورعاية واجبات إخوانهم رحمهم الله ، وبذلك تقوم  
قناة المسلمين ويلتئم شملهم ويهاجم عدوهم ، فله أولئك الرجال رضى  
الله عنهم .

قال صاحب نشأة حركة الأباضية : ولم يغفل أبو عبيدة ومشايخ الأباضية  
في البصرة عن أتباعهم في الأمصار الأخرى وخاصة أنهم يحتاجون بشكل  
دائم إلى المساعدات المالية والمعنوية حتى يستطيعوا الصمود ، ولكي يستعدوا  
بشكل فعال للوقوف في وجه أى خطر يهددهم ، أضف إلى ذلك فإن جماعات  
الأباضية خارج البصرة كانت في بعض الأحيان تواجه بعض المشاكل  
الطارئة ، ولا بد لحل هذه المشاكل من الرجوع إلى أئمة البصر ومشايخها ،

ومن هنا فقد برزت الحاجة لإيجاد نوع من التنظيم يتولى الإشراف على كل هذه الأمور ويضمن للدعوة استمرارها وتطورها ، ويهيئ لها بالتالي سبيل النجاح والنصر .

قال : لتحقيق ذلك أنشأ أبو عبيده في البصرة ما يمكن أن نسميه الثورة السرية ، وكان هو زعيمها ، أى كان أبو عبيدة هو الذى يدير الأمور لإدارة تشبه أن تكون كما يقولون شبه رسمية ، ذلك لأن أبا عبيدة كان المطاع الوحيد طاعة تنبثق من صميم الإيمان ، لامن قوة الجند . قال وهو زعيمها أى أبو عبيدة رحمه الله هو زعيم الحركة ورأسها ، قال وله الكلمة العليا فى الشؤون الدينية من فتوى وقضاء وتدريب الدعاة وحملة العلم الذين يرسلون إلى الأمصار .





## أبو عبيدة ينشئ بيت مال

وأنشأ أبو عبيدة ، بيت مال خاص بجماعة المسلمين الأباضية في البصرة ،  
ووكّل إلى حاجب الطائي أي ابن مودود مهمة الإشراف على الشؤون  
المالية والعسكرية وشؤون الدعوة .

قال : وقد كان أبو عبيدة في الربط بين الناحيتين المالية والعسكرية  
ووضعها في يدرجل واحد قدير ، وذلك لأن موارد بيت المال كانت  
تستخدم لمساعدة الدعوة والثوار الأباضية في المناطق البعيدة ، قال : وكانت  
موارد بيت المال تأتي من مصدرين : الأول عبارة عن ضريبة فرضها  
الإمام على أتباعه في البصرة ولا تذكر المصادر متى كانت تدفع ولا مقدارها ،  
ولكن من الثابت أنها لم تكن تفرض بالتساوي ، بل تتفاوت بحسب ثراء  
المكلف ودخله . قلت : هذا من الحق الذي تحمّد عقباه وتفاوت فيه الرجال ،  
فإن الله لم يجعل الناس في الغنى والفقير سواء .

قال ولا تذكر المصادر أن أحدا من الأباضية تخلف عن دفعها . قلت  
وهذا من بين طالعههم وما كان إخراجهم لله فإنه يمّون على أهل الإيمان به ؛  
قال : لأنها تعتبر في نظرهم جزءاً من واجبات دينهم التي ستساعد على انتصار  
دعوتهم التي تمثل في اعتقادهم الإسلام الحق كما كان موجوداً في زمن  
الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وفي عهد الخليفين أبي بكر وعمر بن  
الخطاب رضي الله عنهما . قال : ويبدو أن هذه الضريبة كانت تجمع عند  
الحاجة .

يقول : أبو سفيان محبوب بن الرحيل رحمه الله : وهو عند الإطلاق في

نظر المشاركة لما خرج الإمام عبد الله بن يحيى طالب الحق ووجه  
أباحزة المختار بن عوف لقتال الأمويين قام حاجب فجمع له أموالا كثيرة  
ليعيه بها ، فكتب على كل موثر قدر ما يرى ، فما امتنع عليه أحد هكذا  
ينقل هذا عن الشيخ الدرجمي .

قال : أما المورد الثاني أي من موارد بيت المال فكان يأتي من التبرعات  
السخية التي يدفعها أثرياء الأباضية ، قال : ويبدو أن التجار منها كانوا  
يتحملون النصيب الأكبر في هذا الشأن فيرحم الله أولئك الرجال الأبرار  
الذين يجعلون بيت مال من أموالهم لنصر الحق وإقامة أعمدة العدالة ، إذ لم  
يكن لهم بيت مال بالمعنى المعروف ، إذ لم يكن لهم سلطان يستغلون به المشروع  
في الدين ، ولكن كانوا يجمعون من أموالهم ما يتطلبه الحال وما يلزم لهذه  
الأمر ، وهذا دليل واضح على رغبتهم في الحق وتفانيهم فيه ، فإن غيرهم  
يعطون الأموال الطائلة على القيام وهم في كبد غالب ونكد جامد على  
عدم الرغبة .

ولما كان الأباضية في ذلك العهد كذلك أيدهم الله وأعانهم ونصرهم ،  
فأقاموا الدول ورفعوا منار العدل ونشروا الإسلام في عدة أصقاع هامة ،  
قال هذا انصقر الجاد الدكتور عوض الذي أفادنا عن القوم المعلومات الخلية  
وجاء بالأخبار الأباضية يضيء بها كتابه ، قال الدكتور : ومعروف أن عددا  
من التجار الأباضية كانوا من الأغنياء المعدودين ، وكانت تجارتهم تتجاوز  
البصرة وما جاورها ، وتصل إلى الصين والشرق الأقصى .

قال : ومن هؤلاء التجار نذكر على سبيل المثال النظر بن ميمون  
وأبو عبيدة بن القاسم أي المعروف بأبي عبيدة الصغير والفضل بن جندب

وغيرهم من خيار المسلمين الأباضية ورحمهم الله ورضى عنهم : قال : ولم تقتصر هذه التبرعات على الأغنياء من الأباضية بل تعدتهم إلى بقية الناس من أهل الدعوة رجلا ونساء . قال : وتخرنا الروايات أن حاجباً دعا أحد أصحابه ويسمى أبو طاهر وطلب منه أن يجمع الصدقات من النساء وأواسط الناس ، لأنه لا يريد أن يكتب عليهم ضريبة :

قال : فانطلق أبو طاهر فيمن انطلق معه من المسلمين فلم يأتوا يومئذ امرأة ولا رجلا إلا وجدوه مسرعاً فيما سألوه ، والمعنى أنهم يبذلون له المال عن رغبة ناشطة من غير تبرم أو تضجر ، قال وكان رجل من المسلمين لم يكن يرى أنه صاحب مال فدفع إليهم ثلاثة آلاف درهم ، فلم تمس الليلة حتى جمع أبو طاهر عشرة آلاف درهم ، قال ونتيجة لهذا التنظيم وترويجاً لنشاط حملة العلم المتحمسين في الأمصار ، فقد شهدت الدعوة الأباضية في النصف الأول من القرن الثاني الهجري بعض الانتصارات ، وأسست إمامات خاصة بها ، والمعنى أن الأباضية أقاموا في هذا التاريخ إمامات لا إمامة واحدة خاصة بها في جنوب الجزيرة العربية وشمال أفريقيا.

وقال : ويبدو أن أئمة الأباضية قد استغلوا الظروف التي تمر بها الدولة الإسلامية إبان حكم مروان الثاني آخر خلفاء بني أمية ، وأوعزوا إلى أتباعهم في تلك الفترة في الأمصار لإعلان الثورة ضد الحكم القائم ، فقد مرت الدولة الأموية في تلك الفترة بمرحلة عصيبة وشغلت بقمع ثورات مختلفة في أنحاء متعددة من الدولة ومن ضمنها بلاد الشام التي كانت قبل ذلك تكون العمود الفقري للسلطة الأموية . قلت : إذا انخرفت الأمة عن نهج الحق واستمرت على انحرافها حرك الله عليها من يثير في بيتها هواجس

تقلقل وعى المستول وتلبيل أفكاره ، فإما أن يتراجع ويستقيم وإما أن يستمر على هواه فتنهار صروحه ويتزعزع عرشه فتتضي عليه الحوادث ، وهذا أمر معروف مستفيض في الأمة شبه مجرب عبّر عنه التاريخ في جميع الأجيال كيف كانت ، بل هو مشاهد يعرفه الإنسان فيما بينه وخاصته ، ثم يقوم له شيوع محسوس حتى يسرى إلى حد بعيد ويشير إلى ذلك قوله عز وجل : ( إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ) ، والله أكرم من أن يسלט على أهل الحق أعداءه إلا ريثا يتمحص الحق ويتحقق الأمر .

قال المؤرخ الذى نأخذ عنه النقل هنا لإنصافه غالباً فى نقله : والحق يقال وقد ساعد انقسام البيت الأموى على نفسه فى قيام مثل هذه الحركات ، وشجع أحزاب المعارضة . قلت : إن البيت الأموى من أول الأمر وضع حجر الانهيار حين قام على على بن أبى طالب الإمام المحقق ، ولكن الله يمهّل ولا يهمل حتى تقوم الحججة وتتضح الحججة وتشهد الحواس على أفعال الناس ، ثم أطال الكاتب المؤرخ .

ثم قال وأعلن العباسيون ثورتهم فى المشرق واضطر الخليفة لتوجيه قواته للوقوف فى وجه هذا الخطر الرامى لتفويض حكم الأسرة الأموية ، قلت : بسبب انحراف هؤلاء عن نهج الحق ونغلبهم على الأمة بغير ما أمر الله تحرك الدم الهاشمى الذى هو شقيق الدم الأموى .

قال وكان من بين هذه المناطق حضرموت واليمن حيث كان الدعاة الأباضية يقومون بنشاط واسع هناك منذ وقت مبكر ، وهذا يدل أن الأباضية سبق أن تحركوا للقيام قبل قيام الهاشمين ، فكانوا يتهبأون لمصادمة الفساد الذى يروونه ضرب بجراته فى بلاد الإسلام . قال وقد ساعد تدمير السكان

في تلك المنطقة من سياسة الولاة هناك على انتشار الدعوة الأباضية بشكل واسع وسريع ، والمعنى أن السكان والولاة تعارنوا على تأييد ثورة الأباضية بأسرع ما يمكن ، وعلى قوة واسعة وقد خضعت اليمن وحضر موت لحكم قيسى مستمر منذ أيام عبد الملك بن مروان ، وكان والى اليمن عند قيام ثورة الأباضية هناك هو القاسم بن عمر الثقفى .

قال وقد اتبع الولاة الثقفيون سياسة مالية جائرة ضد السكان اليمنيين وأثقلوا كواهلهم بالضرائب الإضافية ، أى أنهم وضعوا على الأمة الضرائب المالية التى لم تكن من الحق فى شىء ، وهذا شأنهم .

وأنا أقول لك أيها القارئ الكريم هذه أعمال هؤلاء التى يذكرها التاريخ فاحفظ بها مع أخواتها وحاسب بها التاريخ الأباضى ، وانظر الحال الفارق بين الفئتين وأعط كل أمة حقها إنصافاً ، ثم كن مع الحق منهما وإلا فقد قامت عليك حجة الله والحق غير متروك أمام الباطل ، فإن الله هو الحق ، وما كان من الحق فالله يرعاه فى كل جيل ، قال وقد ألغى عمر بن عبد العزيز هذه الضرائب الإضافية ، قلت لأن عمر (١) كان أباضياً باتفاق علماء الأباضية ، وإن كان أموياً وكذلك ابنه عبد الملك وتاريخهما غير خاف وأباضيتهما غير مستورة ، وإن كان عمر حاول أن يعمل بالسياسة ، قال ولم يلبث أن أعيد فرضها بعد وفاته ، قلت وهذا مصداق لما قلنا عن الأباضية وأعمالهم .

ثم راح المؤرخ المذكور يرسم مراسم الخوارج على الدولة الأموية

(١) قوله لأن محرران أباضياً : معناه كان موافقاً لمبادئ الأباضية وأصولهم ويرى

المشار إليها إلى أن قال : ... اختار الأباضية الشراء على القعود ، أى لم يروا السكوت عن أداء الواجب ، إذ تداس أحكام الله عز وجل .

قال وجدير بالذكر أن الأباضية في مرحلة الكتمان كانوا يجيزون الشراء إذا اتفقت طائفة منهم ، لا يقل عددها عن أربعين رجلا على إعلان الثورة شريطة أن يختاروا لأنفسهم إماما من بينهم يدعى إمام الشراء ، يقودهم في عصيان مسلح ضد الباطل ، أى يحملون السلاح على الباطل بقيادة إمامهم المشار إليه ، قال كما فعل مرداس بن أدية وأصحابه الذين ثاروا على الشراء في عام واحد وستين هجرية وقتلوا جميعا رحمهم الله وفازوا بالشهادة مع الله عز وجل ، وهى لإحدى الحسينيين التى ينشدونها ، وبقيت الأحداث الحسنة بعدهم تضرب بها الأمثال .

قال الدكتور المذكور الذى نأخذ عنه نقل هذه الحوادث ، وقد كفانا فيها ذكر مصداقها فلا نطيل بها المقال فى ظل هذه الظروف : كان الدعوة الأباضية يجوبون المنطقة يدعون إلى مذهبهم ويؤلبون السكان ضد الحكم الأموى ، قال وتولى الدعوة فى حضرموت واليمن بعض الأشخاص المشهورين بالعلم من أهل البلاد الذين يتمتعون بالعصبية القوية والكأمة النافذة ، وعلى رأسهم عبد الله بن يحيى المشهور بطالب الحق والذى ينتمى إلى قبيلة كندة الحضرمية القوية ووائل الحضرمى وهو من مشاهير علماء البارزين .

ومن تلاميذ أبى عبيدة النجبا قلت وكيف لا يكون كذلك وأبو عبيدة البطل رأس الكل ، وهو الذى يمثل الدين ويصنعهم لله وفى الله ، وأنت خبير أن التلميذ يأخذ أخلاق شيخه مهما كانت ، وهذا الشيخ هو السند الصحيح ، وهو البطل المخلص لله على الوتيرة التى تعرف لأمر المؤمنين

عمر بن الخطاب رضوان الله عليه ، وكيف لا يكون طالب الحق ووائل  
الحضرمي وأبو مودود وإخوانهم كذلك وهم ثمر السيد العامل لله المخلص له  
في السر والعلانية أبي عبيدة الضرير رحمه الله .

قال الدكتور المذكور الذي نأخذ عنه بالحرف الواحد: ولا تسعفنا المصادر  
المتوافرة في تحديد الوقت الذي وصلت إليه الدعوة الأباضية إلى تلك  
المناطق ، قال ومن المحتمل أنها تسربت إلى تلك البقعة في وقت مبكر .  
والمعنى أنها جاءت في أول الوقت ، ولا يخفى أن مدرسة أبي الشعثاء  
وأبي عبيدة أنتجت إنتاجا عاليا سريعا جادا في طلب الحق ، وفي نشره  
وفي نفخ روح الإيمان والعدالة في قلوب المسلمين ، فإن قلوبهم صالحة لغراس  
الإيمان ونشر دعوته وبث ما يدعو إليه ، فإن العهد جديد وللحق ذوق  
يروق في نهي أهل الإيمان ورجال الأباضية الوراثة في الإمامة جارت أم  
عدلت ، بل يرون الحق من أين جاء ومن جاء به والحق أحق أن يتبع .

قال شيخنا الدكتور : وخاصة أن أئمة الأباضية في البصرة قد أعاروا  
المناطق النائية الواقعة على أطراف الإمبراطورية الإسلامية عناية خاصة ،  
والمعنى أن رجال الأباضية يرون الدولة التي يقادسها هؤلاء باسم الدولة  
الأموية دولة جائزة حائدة عن الحق هم منها في تألم زائد ، وفي بعض  
متزايد بحيث حادوا بنهج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الصراط  
السوى إلى المنهج الذي هم عليه من البطر بالنعمة والجور على الأمة والحياد  
عن مقتضى القرآن ، فهم يتألمون من هؤلاء أكثر من تألمهم من المشركين ،  
ذلك لأن المشركين لم يغيروا من أمر الدين الإسلامي لأنهم كانوا من أول أمرهم  
على الشرك ، أما الذين أسلموا والذين هم أبناء الإسلام برجوعهم الإسلام  
ليرفعوا شعاره ويعلوا مناره ويؤيدوا قضاياه ، كما أمكنهم وبكل ما لديهم  
وما أوتوا من قوة ، فلذلك تراهم يبذلون النفس والنفيس في إقامة شعاره .



## طالب الحق يتزعم الدعوة في حضرموت

كان طالب الحق رحمه الله ورضي عنه كما هو زعيم قوم أضاف إلى زعامته تزعمه دعوة الأباضية في حضرموت ، إذ كان له من قومه سد يحيط به وسند يعتمد عليه ومؤيدون له على الحق ، وكان نور الإيمان قد أخذ منه مأخذه وضياء الحق أشرف على ذاكرته :

وإذا حلت الهداية قلبا

نشطت في العبادة الأعضاء

كانت كندة لطالب الحق يدا ولسانا وسيفا وسناناً ، ولذلك أصبح السيد الوحيد تويده الأباضية بكل معاني التأيد ، وكذلك أصبحت للدعوة الأباضية في تلك المنطقة صولة وطولة ، وأضف إلى ذلك ما يشكوه الأهالي من جور العمال الذين تسلطوا عليهم ، إذ كانوا يظلمون الناس ، ولهذا نقول إن داعية الظلم أكبر مثير للأمة إلى مناصرة المعادى ، لأن الظلم لا تقبله النفوس ما وجدت لها منقذاً منه ، ولما كان الأهالي يتبرمون ويتألمون من ولائهم كان ذلك الحال معيناً للأباضية على قهر الأيدي الأثيمة التي لا ترى لها رادعا ولا زاجرا .

والأباضيون بطبيعة الحال لا يرضون بظلم أحد مهما كان ، فأعانت الأباضية القوى الآهلة البلاد من سنين وشيعة ، إذ كانت رغبتهم في التخلص من ظلم أولئك المشار إليهم وكانوا قبضوا على نواصي الأمة بيد من حديد غير مباين بأحد .



## شروط الإمامة عند الأباضية

لا يخفى أن الأباضية لم يكونوا ليعينوا أحداً للإمامة بغير نظر المشايخ رجال العمل وأعمدة الدين ، وفقهاء الأمة الأباضية في البصرة الوطن الأصلي للمذهب ، فإذا أراد الأباضية تعيين إمام أو رئيس أو زعيم محصوه ودققوا النظر فيه وتحققوا كل ما لديه من الخصال الحميدة ، والمرضى الشرعية ، وتدريب دقيق واستكشاف بالغ الأهمية حتى إذا لم يروا ما يرتابون منه ، ولم يجدوا فيه هودة في دين الله ، ولم يعلموا فيه شيئاً يعاب به ، فعند ذلك يبايعونه على طاعة الله وطاعة رسوله ، وعلى العمل بالكتاب والسنة واتباع آثار المسلمين ، وله اختيار الرجال على الأعمال سواء كان إمام دفاع أو إماماً شارياً اعتماداً على النصوص الواردة في القرآن .

ولا يقبلون الذي يقول للقرآن بعد ما يرمى به هذا فراق بيني وبينك ، ولما بايعوا عبد الله بن يحيى طالب الحق ، فمن قائل إنه كتب للإمام أبي عبيدة أن يمدّه بأبي حمزة المختار بن عوف رحمه الله ، ومن قائل إن أبا عبيدة كان هياً المختار عوناً لطالب الحق عندما تحقق إمامته فجاءه المختار وأنعم بالمختار الذي يعطى اسمه عنوان الاختيار ، فهو المختار حساً وعقلاً ولله دره من بطل ، وأين أمثال أبي حمزة في الأمة الإسلامية كلها دين وإيمان وجهاد وإخلاص ، وقيام بواجب الحق واجتهاد فيه .



## أبو عبيدة يرسل أبا حمزة مدداً لطالب الحق

كان الأمر تقرر في وقت مبكر أن طالب الحق إذا تحققت إمامته فالأباضية يمدونه من البصرة بالمال والرجال ليؤيد بهم دعوته ويقوم بهم دولته ، ولما صحت إمامته ثار السيد الهمام أبو عبيدة الذي أخذ العلم للعمل واجتهد في مصالح الأمة لله عز وجل . قال الدكتور : إن المصادر الأباضية وبعض المصادر الأخرى تجمع على أن المختار بن عوف الأزدي ومن قدم معه من إباضية البصرة قد أرسلوا إلى حضرموت من قبل أبي عبيدة لمساعدة طالب الحق الذي كان إذ ذاك أباضياً ، ويدعو للمذهب في حضرموت قبل وصول أبي حمزة ومن معه من الرجال المحملين بالسلاح والمال ، ولم يصل أبو حمزة حضرموت إلا بعد أن أشار طالب الحق على أبي عبيدة بأن الوقت قد حان لإعلان الثورة ، فسمح له أبو عبيدة بذلك ، ثم أرسل إليه المعونة البشرية والمادية ، يعنى الرجال والمال من البصرة ، لأن البصرة إذ ذاك تموج بنشاط الأباضية وعلى رأس الرجال أبو حمزة الشارى .

هكذا ذكر الشيخ الدرجيني والمشايخ الأزكوى والبلاذرى في الأنساب في الجزء الثانى صحيفة ٣٧٣ .

قال الدكتور : لقد جرت عادة الأباضية منذ وقت مبكر أن لا يبايعوا لأحد بالإمامة إلا إذا أشار عليهم بذلك رؤسائهم في البصرة ، قلت ذلك لأن الإمامة قضية علمية يراد منها أن تُخلف رسول الله في أمته ، وأن تعمل بأحكام شريعته ، وهذه هى شئون أهل العلم فتكون الإمامة فى الأمة كون أبى بكر وعمر رضى الله عنهما لا كون معاوية ويزيد ، وهذه هى ميزة الأباضية بين أمم الإسلام والحمد لله ، قال أبو بموافقة ممتة من أهل العلم من خصوص

علماء الأباضية المعروفين بالعلم الغزير والفهم الكبير ، تقليداً لما فعله عمر ابن الخطاب عندما عين ستة من كبار الصحابة لاختيار واحد منهم ، أى أن عمر عهد بأمر الإمامة إلى ستة رجال من أجلة الرجال الذين رجا فيهم القيام بواجب الأمة على أن يبايعوا واحداً منهم ، ونعم الرأى ونعم النظر ونعم الاختيار ، فإن عمر رحمة الله عليه أكبر حجة في الدين ، وأبصر بأمر المسلمين .

وهذا أيضاً من مزايا الأباضية حيث يأخذون في الإمامة برأى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، فله القوم والله مأخذهم حيث صار قلوبهم فيه ثانی الخليفين المرضيين ، ولم يأخذوا برأى أهل الأهواء ، ولم يرضوا في دينهم إلا بمرضى ابن الخطاب وزير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ووزير الخليفة الأول أبى بكر والذي ارتضته الأمة للخلافة ، فكان المثال الذى أعجز من جاء بعده من أئمة المسلمين ومشورة من هم حجة واجبة في مثل هذا العمل الهام .

## طالب الحق يدعو الناس لاتباع الحق قبل إمامته

كان طالب الحق (١) أباضياً خالصاً علماً وعملاً ، وكان قبل إعلان إمامته يدعو إلى المذهب الأباضي ، إذ عرف نزاهته وعرف مقاصده وما يميل إليه ، وأن لاهياة للحق لإمامته ، ولادافع للظلم إلا هو ، فإن الأمة التي ترضى أن يحكمها الظلمة لا ترى خيراً ولا تسعى في خير ولا تدعو إلى خير ولا يكون لقيامها في الأمة خير ، ولذلك كان الأباضية الدعاء إلى الخير والرعاة للخير في الوقت الذي أشار إليه رسول الله عليه الصلاة والسلام ، بأنه من عهود الخير إذ قال : « خير القرون قرني ثم الذي يليه » الحديث ومفهومه أن العهود التي تأتي بعده أي بعد القرن الثالث لاخير فيها ، ولذلك تقلص المذهب الأباضي فيها ولله الأمر من قبل ومن بعد والخير فيما يختاره الله تبارك وتعالى .

وكان طالب الحق لما أراد الرجوع إلى وطنه زوده الإمام

---

(١) قوله : كان طالب الحق أباضياً . معناه أن طالب الحق رأى في اليمن الظلم والفساد وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكان رحمه الله هاجر في طلب العلم من أبي عبيدة وجمعه الأيام بأهل الفضل والعلم والعمل من خيار أمة الإجابة كابي الشعثاء والريبع وضمام وتلميذ لسيد أبي عبيد خمس سنين ، ولما خرج إلى وطنه ومعه جلندى بن مسعود رحمه الله رأى الحال في اليمن على أشده فشاور إخوانه وواصل شخصه الضرير فأمره بالقيام على الباطل أ. هـ .

أبو عبيدة بأوامره فعمل بها وقام بواجبها حتى قامت إمامته تدفع عقيرة  
الإيمان وتزيل البغي والطغيان ، وتقوم بأوامر سيد ولد عدنان  
صلى الله عليه وآله وسلم . قال مؤرخو قضايا القوم لقد جرت  
عاده الأباضية منذ وقت مبكر أن لا يبايعوا لأحد بالإمامة إلا إذا  
أشار عليهم بذلك رؤسائهم في البصرة أو بموافقة ستة من علماء  
الأباضية المعروفين كما تقدم الحديث عنهم .

## الوقت المناسب للثورة

لا يخفى أن الأمور لها أوقات تكون سبباً مناسباً لإقامتها ، وعندما تدق الساعة المناسبة لا ينبغي أن تضاع تلك الفرصة ، فإن الأمور مرتبهة بأوقاتها . قال صاحبنا الذي تأخذ عنه نقل هذه القضايا : كما أنه اجتهد في إخراجها من مظانها الحصيصة بها يبدو أن إمامة طالب الحق جاء في الوقت المناسب ، والدولة الأموية ، كانت في طريق انهيارها في أواخر العقد الثالث من القرن الثاني الهجري ، ولذا فإن أبا عبيدة قد أمر صاحبه في حضرموت بالتحرك في أسرع وقت ممكن ، وكتب إليه يقول إن استطعت أن لاتقيم يوماً واحداً فافعل ، فإن المبادرة بالعمل الصالح أفضل ، قلت نعم يشهد لذلك فعل أبي بكر وعمر يوم السقيفة ، ولو تأخرا لوقع في المسلمين التلاشي والاضطراب ، ولما حزمنا الأمر وربطاه أمناً شر الشقاق والخلاف ، وتعجيل ما يخشى انهياره أولى ، فإن تداعى البناء صعب إيقافه إلا ما شاء الله .

والمالك يقول أبو عبيدة رضى الله عنه لطالب الحق في كتابه :  
وإنك لاتدرى متى يبلغ أجلك والله خيرة في عباده يبعثهم إذ شاء لنصر دينه ،  
ويخصهم بالشهادة لإكراماً لهم ، هكذا جاء عدة مصادر ، ونعم ما أوصى  
به أبو عبيدة رضى الله عنه ونعم ما دعا إليه ، فإنه لم يدع إلى ما دعا إليه  
معاوية ولده يزيد إذ قال له من قال بوجه كذا فقل له بسيفك كذا ،  
أى اقطع رأسه والحمد لله الذى جعل العمامة هداة الأمة ونصحاءها .



## وصية أبي عبيدة رحمه الله

لا شك أن أهل الحق وأهل الإيمان هم الدعوة إلى الخير وهم المرشدون للأمة وهم نصحاؤها ، ولما تحقق الإمام أبو عبيدة أن طالب الحق لا بد قائم إلى ما دعاه إليه المسلمون ولا سيما إذ شجعه أبو عبيدة وحرصه، وأرسل إليه المدد أوصاه كما هي عادة أهل الإيمان .

بقول الدكتور : وأوصاه أيضاً ، بالسيرة الحسنة والسلوك الطيب ، وقال إذا خرجتم فلا تغلوا ، أى إن الغلول عار وشنار يوم القيامة يقول الله عز وجل : ( ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ) ، قال ولا تعتدوا أى إن الاعتداء على عباد الله حرام بنص القرآن إذ يقول : ولا تعتدوا ، وتعاونوا ، فنبه عن الاعتداء وأمر بالتعاون ، قال واقتدوا بأسلافكم الصالحين .

ولا شك أن الاقتداء بالسلف الصالح من دواعى النصر ، ومن اقتدى بالسلف الصالح إذا لم يرزق النصر رزق الشهادة التى هى أعظم من النصر ، فإن الجهاد فى الأصل شرع لدخول الجنة ومن دخلها شهيداً كان من علية الداخلين ، بخلاف من دخلها ببقية الأعمال فإن الأنبياء (١) . . . . . الشهداء يوم القيامة ويودون شهداء بل يودون لو يقتلون عدة مرات فيحيون ، ويقتلون لما يرون من منازل الشهداء فى الجنة ، ولما وصاهم أبو عبيدة رحمه الله تعالى باتباع سنة أسلافهم ، قال ، واستنوا بسنهم ، أى اسلكوا طريقهم ، قال فقد علمتم إنما أخرجهم على السلاطين العيب لأعمالهم هكذا فى نقل البلاذرى فى أنسابه والشيخ أحمد بن عبد الله الرقيشى فى مصباح الظلام ، وكذا قال

أبو الفرج الأصبهاني . قلت : وإذا كانوا خرجوا على السلاطين لجورهم فالجرام هم السلاطين لا الذين أنكروا عليهم جورهم وظلمهم لعباد الله ، فإن الجور على عباد الله يسخط الله منه ، وكذا أيضاً في نقل الشيخ سرحان الأزكوى ، والله قوم يشهد لهم مثل هؤلاء العلماء في مثل هذه الأعمال العالية .

قال ثم بعث أبو عبيدة ومشايخ الأباضية في البصرة بالمال والسلاح معونة لطالب الحق رحمه الله ، كما سار إليه بعض أباضية البصرة لمساعدته ، وعلى رأسهم أبو حمزة الشاري المختار بن عوف الأزدي ، وبلج بن عقبة الأزدي أيضاً وغيرهم .

قال ولا تشير المصادر إلى عدد الأباضية الذين قدموا من البصرة لمساعدة طالب الحق ، ويبدو من الروايات أن عددهم لم يكن قليلاً ، قال أما المدائني فيذكر أن المختار بن عوف وبلج بن عقبة قدموا لمساعدة إخوانهم في رجال من الأباضية لنصرة إخوانهم في العقيدة ، أي الذين يعتقدون معتقد الأباضية ، قال أما رواية الأزدي فتعتبر أكثر وضوحاً في إشارتها إلى كثرة عدد الأباضية القادمين من البصرة ، قال وقد بالغ خليفة بن خياط عندما أورد رواية ذكر فيها أن عامة جيش طالب الحق كان من أهل البصرة .

قال : وأياً كان الصحيح في هذه الروايات فإنها كلها تؤكد على أن مجموعة من أباضية البصرة يقودهم أبو حمزة المختار بن عوف الأزدي قد هبوا لمساعدة إخوانهم في حضرموت .

## إمامة طالب الحق والاستيلاء على حضرموت

لما قرأ أمر إمامة طالب الحق ورأى الفرصة مواتية له بدأ بثورته على حضرموت في عام ١٢٩ مائة وتسعة وعشرين هـ الموافق ٧٤٦ م للاستيلاء عليها كمقدمة لفتح القطر اليمنى ، وقد عرفت حضرموت ومجملها من القطر اليمنى ، ولم يقاومه أحد فيها ، ذلك لأن الأهالي كلهم يؤيدون عبد الله ابن يحيى وما يذهب إليه من الحق ، فإن الحق محبوب مطلوب مرغوب فيه بطبيعة الحال ، وقبض على واليها إبراهيم بن جبلة مخزومة الكندى ، وزج به في السجن مدة يسيرة ، ثم أطلق حيث رآه لاتابع له ولا محذوا منه ، وما كان سجنه إلا تأديباً من معاملته السيئة لأهالي حضرموت ، وكونه عوناً لأهل الضلال ، ومن أعوان الظلمة .

قال الدكتور : ولم يلبث إلا أن أطلق سراحه ولحق بسيد القاسم بن عمر الثقفي في صنعاء ، قال ويبدو أن الأباضية أطلقوا سراحه ليظهروا للناس مدى تسامحهم وعدم تعطشهم لسفك الدماء وتعذيب الناس ، قلت هذا هو الصحيح وهذا طبع الأباضية ، وهذه سيرتهم التي يعولون عليها إذ هم رحمة الله للناس ، كما كان رسول الله عليه الصلاة والسلام رحمة للناس ، فإن لهم في رسول الله أسوة حسنة ، قال والأهم من ذلك أن الأباضية أدرأ كسب ود قبيلة كندة التي ينتمى إليها الوالي المذكور ، قال وكان معظم أنصار طالب الحق في البداية من بين رجال هذه القبيلة الحضرمية بعد الاستيلاء على حضرموت وطردها ، قام الأباضية بدعاية نشطة لحركتهم بين القبائل العربية . قلت كل هذا الذي يشير إليه من المحتمل أيضاً ،

ومن واجب أولى الأمر حيث لا تنصر بالدين ولا تنضم جانب المسلمين ولا تتعدى الحق ، أما إذا كانت على خلاف ذلك فالأباضية أبعد من ذلك ، قال وانضم إليهم عدد من غيرهم كبير من الناس وجمع كثير ذكر ذلك البلاذرى فى أنسابه فى الجزء الثانى منه صحيفة ٣٧٣ ، قلت ذلك لأن الحق محبوب من ناحية أهل الإيمان ، قال ولعل مبايعته بالإمامة قد جرت فى تلك الفترة ولقبه أصحابه بطالب الحق .

## للزحف على العاصمة صنعاء

بعد ماتم الأمر لطالب الحق في حضرموت قرر الزحف على صنعاء ، مع علمه أن واليها من قبل الدولة الأموية قد تهيأ لمصادمة طالب الحق وجيشه ، وكتب إلى الأباضية الذين بها يستنهض همهم ، وهذا يدل أن الأباضية في ذلك العهد موجودون بصنعاء كما هم موجودون في حضرموت ، وأنهم ذوو أهمية فيها إذ استدعى الحال إعلامهم ، ولأن يكونوا متأهبين عندما يرون جيش المسلمين يزحف على صنعاء ، قال ويطلب منهم الاستعداد واليقظة التامة ، قلت وهذا يؤكد ما قلناه ، قال ويخبرهم أنه قادم إليهم كذا في الأغاني في الجزء الثاني أيضاً صحيفة ٩٧ منه ، وحكاه أيضاً البلاذري في أنسابه في الجزء الثاني أيضاً صحيفة ٣٧٣ ، وكان عند ما عزم على الزحف على اليمن ولي على حضرموت عبد الله بن سعيد الحضرمي ، وسار على رأس الفين من أصحابه أي الأباضية خاصة لم يخالطهم غيرهم وتوجه إلى صنعاء .



## والى صنعاء يحشد الحشود لمصادمة طالب الحق

لما تحقق والى صنعاء زحف طالب الحق عليه جمع من أبطال اليمن جيشاً ضخماً لا يبين معه جيش طالب الحق ، إلا أن النصر لم يكن بالكثرة ، ( فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ) قال المؤرخ الدكتور : ولما علم الوالى الثقفى بأبناء سير الأباضية إليه أخذ يستعد للقائهم وجمع جيشاً ضخماً يصفه البلاذرى بأنه كان ذا عدد كبير وعدة ظاهرة ،

بينما تذكر المصادر الأخرى أن عدد هذا الجيش بلغ ثلاثين ألف رجل إلى أن قال : وبالتالي كان أكثر عدد وعدة من الجيش الأباضى ، وقد قرر القاسم الثقفى ملاقاته الجيش الأباضى خارج صنعاء ، إذ رأى جيشاً هذا عدده ويلحق به جيش عدوه لا تكفى له صنعاء مسرحاً للمعركة التى سوف تدور .

قال الدكتور : ويبدو أنه ، أى الوالى المذكور ، كان معتدا بقوته وعسكره الكثير ، ولا شك أن تحقيق جيش عدوه قد علمه تماماً من ألسن أعداء الأباضية فى حضرموت قال فهزم ، أى الوالى ، وتراجع إلى صنعاء حيث لحق به طالب الحق وهزمه مرة أخرى هزيمة منكرة لم يقر له بعدها قرار ، بل فر إلى الشام مع بعض جنده واستولى الجيش الأباضى على صنعاء أوردت ذلك المصادر العديدة متفقة كلها على ذلك قال بعضهم : استولى الأباضية على المدينة .

قال وتشير المصادر سنية وأباضية وشيعية إلى أن طالب الحق وأعوانه

الأباضية قد عاملوا السكان معاملة حسنة ، قلت وهذا يدل مما يؤيد مقالنا فيهم وفي نزاهة أعمالهم رحمهم الله ، قال ولم يتعرضوا لأحد بأذى ، قلت وهذه الأخرى من مكارم الأباضية التي عرفوا بها أيام دولهم ووقت سلطتهم ، قال وتورد بعض المصادر الخطبة التي ألقاها طالب الحق في أهل صنعاء والتي تبين بوضوح بعض آراء الأباضية في تلك الفترة المبكرة وقد خير الناس فيها بين ثلاث خصال أيها شاءوا فليأخذوا بها : الأولى أن يتبنوا الأفكار والآراء الأباضية ويجاهدوا مع أتباعها ، وفي هذه الحالة يتساوون في الحقوق والواجبات مع إخوانهم الذين سبقوهم إلى هذا الأمر ، ويكون لهم من الأجر ما لأفضلهم ، ومن قسمة الفئء ما لبعضهم . الثانية من قال بقولهم ولم يجاهد معهم ، فعليه أن يدعو إلى هذا الرأي بقلبه ولسانه .

قال ولم تذكر الخطبة حقوقاً معينة لمثل هؤلاء الأتباع ، والثالثة أن يلزم من لا يقبل هذين الشرطين الحياد على الرغم من معارضته للمبادئ الأباضية ، وفي هذه الحالة لا يتعرض له أحد بأذى ، وهذا ما عبر عنه طالب الحق بقوله : ومن كرهنا فليخرج ، بأمان إلى ماله وأهله ويكف عنايده ولسانه ، فإن ظفرنا لم يكن عرض نفسه ولم يحملنا على سفك دمه ، وقد سبق لنا أن شرحنا هذه الجملة التي ألقاها الإمام طالب الحق رحمه الله وأوضحنا جوهرها الصحيح على ضوء المذهب الأباضي .

## الامام طالب الحق يبتعد من حصائد المجرمين

قبض الإمام طالب الحق صنعاء وتولى أمرها ، فوجد في خزائن صنعاء الدولية أموالا طائلة تخرج أخذها وإنفاقها على رجال دولته ، بل رأى الابتعاد منها أولى لأنها جبيت على غير النهج المشروع والحياة ظلمة غير موثوق بجبايتهم ، ولم يمكن الإمام المرضى طالب الحق جنده من شيء منها ورأى إنفاقها في فقراء أهل صنعاء ، لأن مجهول الأرباب سيئله فقراء المسلمين ، ولذلك فرقها ولم يأخذ شيئا منها ، وولوا أخذها لكان له في أخذها وجه صحيح ، لأن حكم ما في يد المسلم الحل حتى يصبح تحريمه ولولا ذلك لم تحل شربة ماء من أحد لاحتفال أن تكون من حرام ، ولم تحل ضيافة أحد للاحتفال المذكور ، ولكن رحمه الله احتاط لدينه وإخوانه باتقاء الشبهات والاحتياط للدين مطلوب .

قال محرر القضية ووزع ما استولى عليه من خزائن وأموال بين الناس في صنعاء وخاصة الفقراء منهم . قال وبقي في صنعاء عده أشهر يسوس بالعدل ويدعو إلى آرائه ومبادئه بالمعروف والموعظة الحسنة ، حتى كثر جمعه وأتاه الناس من كل وجه . قلت غير مرة إن أئمة الأباضية لا يقومون إلا لنشر العدل وإعادة العمرية في المسلمين ، فكيف لا يكون العدل أنشودتهم والأمر بالمعروف دعوتهم ، وإصلاح شأن الأمة بغيتهم ، وهم ما قاموا إلا لما فقدوا ذلك في الأمة ، ولا تجردوا لركوب الأخطار إلا لمرضى الجبار ، والحق هو دين المسلم ، والعمل بالحق هو عمل



## الإمام طالب الحق يوجه قائده أبا حمزة لفتح الحجاز

لا يخفى أن المسلمين في جميع المعمورة يرون الحجاز موطن الإسلام عموماً ومحط رجال المسلمين كافة ، وأن المسلمين كلهم يغارون عليه ويتألمون ممن يعيث فيه فساداً ، ولما كان الفساد ظهر في البر والبحر ، وكان المتولون للأمر فيه هم المفسدون ، رأى الإمام أن أحق بقعة يجب أن تطهر من فساد أهل الإجمام هو الحجاز ، لذلك جهز جيشه لتطهير ما بالحجاز من سوء ، وجعل قائده ذلك البطل الحر اليقظ أبا حمزة الشاربي الذي لا تأخذه لومة لائم ، حتى أطلق عليه اسم الشاربي ، وعرف به مع أن شرارة المسلمين كثيرون ، وعضده ببلج بن عقبة البطل الثاني الذي لا يحتاج أن نعرف به ، والثالث أبرهة بن الصباح الحميري على رأس قوة عسكرية ، فتوجه الجيش إلى مكة للاستيلاء عليها ، وإزالة أعمدة البغي منها ، ثم أصدر أمره على بلج بن عقبة أن يتوجه إلى الشام بعد الفراغ من عمل الحجاز ، كما يقول الدكتور لمحاربة مروان الثاني وإسقاط الخلافة الأموية لتحل محلها الإمامة الأباضية .

وكان الوالي على الحجاز إذ ذاك عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك ، فوافى أبو حمزة مكة في موسم الحج ، ولما وصلها انضم إليه أهل الإيمان بالله وأهل التقوى لله ، وعلى رأسهم العلامة الجليل التقى أبو الحر على بن الحصين من علماء مكة الذي كان أكبر داعية للأباضية في الحجاز كله ، قال أهل التاريخ : كان على بن الحصين يدعو للأباضية سرّاً في الحجاز ، ويعقد مجالسه الخاصة لهذا الغرض يومي الاثنين والخميس من كل أسبوع .

قالوا ويقدر عدد الذين اتبعوه وانضموا إلى جيش أبي حمزة الشارى نحو أربعمائة رجل من خيار المسلمين ، حكى ذلك المشايخ الدرجينى والشماخى من الأصحاب غير الأجانب .

يقول بعضهم : فوجئ والى الحجاز عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بظهور الأباضية على جبل عرفات فى الوقت الذى كان الحجيج يؤدون فيه مناسكهم على نفس الجبل ، قال ولم يجد عبد الواحد بدأ من التفاوض معهم وخاصة أنه لم يكن مستعداً من الناحية العسكرية لمثل هذا الحدث فى تلك الظروف ، واتفق الطرفان بعد تبادل الوفود ، والمعنى أن القائد أبا حمزة الشارى والوالى عبد الواحد تفاهما بالواسطة بينهما ، انتهت المقامة على أن يتجنب الفريقان الصدام فى أيام الحج ، وأن يترك عبد الواحد مكة ويخليها لأبي حمزة الشارى فور الانتهاء من عمل الحج وأداء المناسك ، وفعلا وفى عبد الواحد بشريطة الاتفاق فخرج من مكة فى العاشر من ذى الحجة عام ١٢٩ هـ ، ودخل الأباضية مكة بدون قتال هكذا يقول المؤرخون عاصمهم :

ولما تم لأبي حمزة فتح مكة وتولى أمرها توجه إلى الطائف ، لأنها ابنة مكة لقربها منها واتصالها بها ، واستسلمت له بدون عناء ، بل فتحها له حب الحق وميل النفوس إليه ، لما عرّف الناس من حسن أعمال الأباضية هـ

قال الدكتور نقلا عن البلاذرى فى الأنساب : وخليفة بن خياط وغيره من المؤرخين قال : وأمن الناس على حياتهم وأموالهم ولم يعرف لهم فى هذين البلدين العظيمين سوءة واحدة ، قال وأعلن أنه لن يتعرض لأحد

بالأذى إلا إذا بدأهم بالعدوان ، ولما تخلى الوالى عبد الواحد عن مكة واحتل أبو حمزة الطائف تبعاً لمكة كتب عبد الواحد لمروان الذى يسمونه الخليفة مروان الثانى يخبره بالغزو الأباضى للحجاز ، ويعتذر له عن خروجه من مكة المكرمة ، قال فغضب الخليفة وعزله عن الولاية وعين هدلاً منه عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، وأمره أن يعد العدة ويحزم أمره لاسترجاع مكة من أيدي الأباضية .

قال وامثل عبد العزيز بن عمر لأمر الخليفة وجهز جيشاً قوامه ثمانية آلاف رجل جلهم من قریش والأنصار وبعض التجار الذين لا علم لهم ولا دراية لهم بالحرب وفنونها ، قلت هذا الكلام أراد أن يمهّد به طريقاً لما كان من القائد عبد العزيز لما وقع عليه من الهزيمة ، والحقيقة أن الحرب سجال ، ومن كتب أجله فى ثمان لا يبقى إلى العشر ، ومن جعل أجله فى عشر لا يموت فى ثمان وهكذا مثلاً .

ولا يخفى أن شجعاناً فى البشر يعدون عن المئات بل عن الآلاف ولا يزالون كلما دخلوا معركة خرجوا منها ظافرين كأنهم لم يدخلوا الحرب ، فإذا حان حينهم قضى عليهم القدر على يد أضعف المحلوقات ، قال وجعل قيادة هذا الجيش إلى عبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ، قال وبذلك لم يكن موفقاً فى اختيار عناصر الجند ولا فى اختيار القائد الذى ينتمى إلى عثمان بن عفان ، والذى يعتبره الأباضية ظالماً مخالفاً تجب البراءة منه ، قلت هذا الكلام يشف عن دسائس نفسية ، فإن الذى قتل عثمان هم الذين اعتبروه خائناً وظالماً ومخالفاً تجب البراءة منه ، ومن هم هؤلاء هم أكابر الصحابة وأعيانهم ، فإنه قتل بعد حصار دام أكثر من شهر علم

به الخاص والعام وأعيان المسلمين كلهم في المدينة وفيهم على بن أبي طالب ، وعائشة أم المؤمنين والمهاجرون والأنصار أكثر من مائة ألف سيف في إمكانها ترد عنه جيش الروم وجيش كسرى ، وما كان واحد من الأباضية معهم ولا صدرت كلمة واحدة من الأباضية في قتل عثمان ، إذ لم تكن الأباضية في أيام عثمان موجودة ، فإن كان الذين في المدينة يرون عثمان غير مستحق للقتل فقد قصرُوا حيث لم يدفعوا العادى عنه ، وهم المسئولون أمام الله عن قتله حيث جعلوه إمامهم وبايعوه ، ولما أحاط به العدو لم يقوموا معه . وإن كانوا يرونه مستحقاً للقتل فقد صار معهم ظالماً جارماً مخالفاً تجب اليراة منه ، فلذلك أسلموه للقتل .

ولم يكن الأباضية حاضرين معهم ، فما بال الطعن والغمز على الأباضية بغير حق ، إن الله على لسان كل ناطق والعهدة على القائل . . . .

وكذلك قتل على بن أبي طالب لا يرى له الناس قاتلاً إلا الأباضية ولا خوارج في العالم منذ خلق الله الدنيا إلى الآن إلا الأباضية ، أهكذا يقول الحق صدق الله الذى يقول في كتابه العزيز : ( وأكثرهم للحق كارهون ) .

فالآن كل الأمة لا ترى عدواً في الإسلام إلا الأباضية ، فلذلك تقف لهم الدنيا على كل مرصد وبكل مكان عداوة سافرة لا مبرر لها إلا كون القوم أباضية أو كونهم على الحق ، فإن الخوارج معروفة لم يكن الأباضية منها في قبيل ولادبر ، وأول خارج على عثمان معروفون ولم نجد فيهم أباضياً واحداً ، وكذلك الخوارجون على على بن أبي طالب من جنود الشام لم نجد بعد طول العناء والتفتيش أباضياً واحداً ، ولا وجدنا في قاتليه أباضياً . فما هؤلاء القوم يتعامون عن الواقع ثم يقذفون به توماً أبرياء ، وحتى قضية النهروان

لم نجد فيها أباضياً ، بل وجدنا فيها صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، والله على لسان كل ناطق .

قال المؤرخ لهذه القضايا : التقى الأباضية مع الجيش في قديد على طريق خيبر ، يريد الجيش الشام وذلك في شهر صفر سنة ١٣٠ هـ ، بعدما أقام بالمدينة ما أقام أمراً ناهياً مسدداً مصلحاً داعياً إلى الله أمراً أن تتبع أوامره وأن تجتنب نواهيه وأن تنام حدوده وأن ترفع بنوده ويعلى مناره ويظهر شعاره ، فدارت المعركة بين الطرفين ففضى الله عز وجل بنصرة الأباضية وانهمز الجيش الأموي شر هزيمة ، وانهمز معه أهل المدينة بعدما فقدوا الكثير من رجالهم ، جاء هذا للبلاذري في الجزء الثاني من أنسابه .

ووقع في أسر الأباضية الكثير من الجيش الأموي ومن أهل المدينة ، قال الناقل : وعلى غير عادة الأباضية فقد قام أبو حمزة الشاري بقتل الأسرى القرشيين ، بينما أطلق سراح الآخرين من الأنصار والقبائل الأخرى ، قلت وهذه دسيسة على أبي حمزة رفعها البلاذري من عنده لم يذكرها بقية المؤرخين ، قال ولعل سبب ذلك يعود إلى التنافس القبلي الذي ظهر منذ فترة مبكرة بين القبائل العربية وقريش التي احتكرت السلطة لنفسها منذ وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام .

قال وهذا يخالف مبدأ الأباضية في الإمامة الذي لا يعير اهتماماً لنسب الخليفة العرقي أو القبلي ، أى أن من عادة الأباضية الاعتماد على التقوى خاصة في الإمامة ، لا يعولون على الأنساب عملاً بما جاء في الكتاب ، إذ يقول الله لنبيه إبراهيم الخليل : ( إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدى الظالمين ) ، أى لا منزلة عندي للظالم مهما كان

ومن كان ، فإن الخلق خلقى خلقتهم لعبادتي وكلهم ينتمون إلى عنصر واحد ، فمن استقام منهم بحسب أوامري مثلك يا إبراهيم فله عندى مالمحققين من أمتى ، ومن لم يستقم منهم فإنه حارم على إذ خالف أمرى ، فكان فى ذريته عليه السلام الأنبياء والعلماء والزهاد والعباد والجبابة والظلمة والفساق وأهل الباطل ، ولكل فريق مع الله ما نحا إليه بنفسه واختاره عملا من أعماله .

وشاعت أخبار دخول الأباضية المدينة وهزيمة الجيش الأموى بها وانتصار الأباضية عليه ، وهزت هذه الهزيمة دعائم الدولة الأموية ، فثارت بقضها وقضيضها للانتقام من الأباضية الغزاة ، وكيف يكون للأباضية صوت عال على رؤوس الحرمين الشريفين وتصبح المدينة المنورة فى يد الأباضية الذين يمنعونها من أعمال البيت النبوى الأموى .

قال الرواة للقضايا : وصلت أنباء معركة قديد ودخول الأباضية المدينة المنورة إلى أسمع الخليفة مروان الثانى ، الذى قرأ أن يضع حداً لانتصارات الأباضية بإنفاذ جيش شامى لقتالهم ، قال فجمع أربعة آلاف من أشجع رجاله ، وأعطى لكل منهم فرساً وبغلاً لحمل ثقله ومائة دينار زيادة على عطائه ، وكان معظم الجيش يتكون من القبائل القيسية ، قال وأراد بذلك مروان أن يضرب الأباضية ومعظمهم من القبائل اليمنية برجال من القبائل القيسية المواين لبني مروان ، حكى ذلك البلاذرى والطبرى ومن أخذ عنهم ، وكان قائد الجيش من بنى سعد بن بكر بن هوازن ، ولم أدر معنى ما يقوله المؤرخ المشار إليه إن معظم الجيش الأموى من الرجال القيسية .

وفى الأغاني قالوا : وأقام عبد الله بن يحيى بصنعاء أشهراً يحسن

السيرة فيهم ويلين جانبه لهم ، ويكف عن الناس فكثير جمعه وأتته الشراة من كل جانب ، فلما كان وقت الحج وجه أبا حمزة المختار بن عوف ، وبلغ ابن عقبة وأبرهة بن الصباح إلى مكة في تسعمائة ، وقيل بل في ألف ومائة وأمره أن يقيم بمكة إذا صدر الناس ويوجه بلجا إلى الشام ، وأقبل المختار إلى مكة فقدمها يوم التروية وعليها عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك وأمه بنت عبد الله بن خالد بن أسيد فكره قتالهم .

وحدثنا من هذا الموضوع بنحبر أبي حمزة محمد بن جرير الطبرى : قال حدثنا العباس بن عيسى العقيلي ، قال حدثنا هارون بن موسى القروي ، قال حدثنا موسى بن كثير مولى الساعدين السليمي ، قال كان أول أمر أبي حمزة وهو المختار بن عوف الأزدي ثم السليمي من أهل البصرة ، أنه كان يوافي في كل سنة يدعو إلى خلاف مروان بن محمد وآل مروان ، فلم يزل يختلف كل سنة حتى وافى عبد الله بن يحيى في آخر سنة وذلك سنة ثمان وعشرين ومائة ، فقال له يا رجل إني أسمع كلاماً حسناً وأراك تدعو إلى حق فانطلق معي فإني رجل مطاع في قومي ، فخرج به حتى ورد حضرموت فبايعه أبو حمزة على الخلافة .

قال وقد كان مر أبو حمزة بمعدن بنى سليم وكثير بن عبد الله عامل على المعدن فسمع بعض كلامه ، فأمر به فجلد أربعين سوطاً ، فلما ظهر أبو حمزة بمكة تغيب كثير حتى كان من أمره ما كان ، ثم رجع إلى موضعه قال فلما كان في العام المقبل تمام سنة تسع وعشرين لم يعلم الناس بعرفة إلا وقد طلعت أعلام عمائم سود خرمية في رعوس الرماح ، وهم تسعمائة هكذا قال ، هذا وذكر المدائني أنهم كانوا تسعمائة أو ألفاً ومائة ففرع

النامس منهم حين رأوهم ، وقالوا لهم مالكم وما حالكم ؟ فأخبروهم بخلافهم مروان وآل مروان والتبرؤ منهم ، فراسلهم عبد الواحد بن سليمان وهو يومئذ على المدينة ومكة والموسم ودعاهم إلى الهدنة ، فقالوا نحن بحجنا أضمن وعليه أشح ، فصالحهم على أنهم جميعاً آمنون بعضهم من بعض حتى ينفر الناس النفر الأخير ، وأصبحوا من غد فوقفوا على حدة بعرفة ، ودفع عبد الواحد بالناس .

فلما كانوا بمنى قالوا لعبد الواحد إنك قد أخطأت فيهم ولو حملت عليهم الحاج ما كانوا إلا أكلة رأس . فنزل أبو حمزة بقرن الثعالب من منى ونزل عبد الواحد منزل السلطان ، فبعث عبد الواحد إلى أبي حمزة عبد الله بن حسن ابن حسن بن علي عليهم السلام ، ومحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ، وعبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر ، وعبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب . وربيعة بن أبي عبد الرحمن في رجال من أمثالهم ، فلما دنوا من قرن الثعالب لقيتهم مسالح أبي حمزة فأخذوهم فدخل بهم على أبي حمزة فوجدوه جالساً وعليه إزار قطري قد ربطه بحوره في قفاه ، فلما دنوا تقدم إليه عبد الله بن حسن ومحمد بن عبد الله بن عمرو فنسبهما ، فلما انتسب له عبس في وجهيهما وبسر وأظهر الكراهة لهما ، ثم تقدم إليه بعدهما البكري والعمرى فنسبهما فلما انتسبا له هس إليهما وتبسم في وجوههما ، وقال : والله ما خرجنا إلا لنسير بسيرة أبويكما ، فقال له عبد الله بن حسن والله ما جئناك لتفاضل بين آبائنا ولكن بعثنا إليك الأمير برسالة وهذا ربيعة يخبركها .

فلما ذكر ربيعة نقض العهد قال باج وأبرهة وكانا قاتلين له الساعة

الساعة أقبل وقال معاذ الله أن تنقض العهد أو نخيس به ، والله لا أفعل  
ولو قطعت رقبتي هذه ، ولكن تنقضي هذه الهدنة بيننا وبينكم ، فلما أبى  
عليهم خرجوا فأبلغوا عبد الواحد ، فلما كان النفر الأول نفر عبد الواحد  
وخلى مكة لأبي حمزة فدخلها بغير قتال .

قال هارون وأنشدني يعقوب بن طلحة الليثي أبياتاً هجى بها عبد الواحد  
اشاعر لم يحفل باسمه :

زار الحجيج عصابة قـ د حالفوا  
دين الإله فقـ ر عبد الواحد  
ترك الإمارة والحلائل هـ ارباً  
ومضى يخبِّط كالبعـ ير الشارد  
لو كان والده تخـ ير أمه  
لصفت خـ لائقه بعرق الوالد

قال ثم مضى عبد الواحد حتى دخل المدينة فدعا بالديوان وضرب  
على الناس البعث وزادهم في العطاء عشرة عشرة ..

قال العباس : قال هارون أخبرني بذلك أبو ضمرة أنس بن عياض قال :  
كنت فيمن اكتتب ، قال ثم محوت اسمي ، قال العباس قال هارون :  
وحدثني غير واحد من أصحابنا أن عبد الواحد استعمل عبد العزيز بن  
عبد الله بن عمرو بن عثمان على الناس فخرجوا ، فلما خرجوا وكانوا  
بالحرة لقيتهم جزر منحورة ففضوا ، فلما كانوا بالعقيق تعلق لواؤهم

بسمرة فانكسر الرمح وتشامم الناس بالخروج ، ثم ساروا حتى نزلوا قديداً فنزلوها لبلا .

وكانت قديد من ناحية القصر المبني اليوم وكانت الحياض هناك ، فنزل قوم مغتربون وليسوا بأصحاب حرب فلم يرعهم إلا القوم قد خرجوا عليهم من القصل ، فزعم بعض الناس أن خزاعة دلت أبا حمزة على عورتهم وأدخلوهم عليهم فقتلوهم ، وكانت المقتلة على قريش وهم كانوا أكثر الناس ، وفيهم كانت الشوكة ، فأصيب منهم عدد كثير .

قال العباس : قال هارون فأخبرني بعض أصحابنا أن رجلاً من قريش نظر إلى رجل من أهل اليمن يقول : الحمد لله الذي أقر عيني بمقتل قريش ، فقال له ابنه الحمد لله الذي أذلم بأيدينا ، فما كانت قريش تظن أن من نزل على عمان من الأزد عربي ، قال وكان هذان الرجلان مع أهل المدينة ، فقال القرشي لابنه يا بني هلم نبداً بهذين الرجلين ، قال نعم يا أبت . فحملا عليهما فقتلتهما ، ثم قال لابنه أي بني تقدم فقاتلنا حتى قتلا ، وقال المدائني القرشي كان عمارة بن حمزة بن مصعب بن الزبير ، والمتكلم بالكلام مع ابنه رجل من الأنصار .

قال ثم ورد فلان الجيش المدينة وبكى الناس قتلاهم ، فكانت المرأة تقيم على حميمها النواح فلا تزال المرأة يأتها الخبر بمقتل حميمها فتتصرف حتى ما يبقى عندها امرأة فأنشدني أبو ضمرة هذه الأبيات في قتلى قديد الذين أصيبوا من قومه لبعض أصحابهم :

يا لهف نفسي ولهف غير نافعة

على فوارس بالبطحاء أنجاد

عمرو وعمرو وعبد الله بينهما  
وابناهما خامس والحارث السادي

قال المدائني في خبره : كتب عبد الواحد بن سليمان إلى مروان يعتذر من إخراجهم عن مكة ، فكتب مروان إلى عبد العزيز وهو عامله على المدينة يأمره بتوجيه الجيش إلى مكة ، فوجد ثمانية آلاف رجل ، والتجار أغمار لا علم لهم بالحرب ، فخرجوا في المصبغات والثياب الناعمة واللهو ، لا يظنون أن للخوارج شوكة ولا يشكون أنهم في أيديهم ، وقال رجل من قريش : لو شاء أهل الطائف لكفونا أمر هؤلاء ، ولكنهم داهنوا في أمر الله تعالى ، والله إن ظفرنا لنسيرن إلى أهل الطائف فلنسيبهم ، ثم قال من يشتري مني سبي أهل الطائف . فلما انهزم الناس رجع ذلك الرجل القائل من يشتري مني سبي أهل الطائف في أول المنهزمين ، فدخل منزله وأراد أن يقول لحارثته أغلقى الباب ، فقال لها غاق باق دهشاً ، ولم تفهم الحارثية قوله حتى أوماً إليها بيده فأغلقت الباب ، فلقبه أهل المدينة بعد ذلك غاق باق .

قال وكان عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز يعرض الجيش بذي الحليفة ، فر به أمية بن عنبسة بن سعيد بن العاصي ، فرحب به وضحك إليه ، ومر به عمارة بن حمزة بن مصعب بن الزبير فلم يكلمه ولم يلتفت إليه ، فقال له عمران بن عبد الله بن مطيع ، وكان ابن خالته أمأها ابنتا عبد الله بن خالد بن أسيد : سبحان الله مبرك شيخ من شيوخ قريش فلم تنظر إليه ولم تكلمه ، ومبرك غلام من بني أمية فضحكت له ولاطفته ، أما والله لو قد التقى الجمعان لعلمت أيهما أصبر .

قال فكان أمية بن عنبسة أول من انهزم ونكب فرسه ومضى ،  
وقال لغلامه : يا عجيب أما والله لئن أحرزت نفسى هذه الأكلب من الشراة  
لأنى لعاجز ، وقاتل يومئذ عمارة بن حمزة بن مصعب حتى قتل ، وتمثل  
بقول القائل :

وإنى إذا ضن الأمير بإذنه

على الإذن من نفسى إذا شئت قادر

والشعر للأغر بن حماد يشكرى ، قال ولما بلغ أبا حمزة إقبال أهل  
المدينة إليه استخلف على مكة أبرهة بن الصباح . وشخص إليهم وعلى  
مقدمته بلج بن عقبة ، فلما كان فى الليلة التى وافاهم فى صبيحتها وأهل  
المدينة نزول بقديد قال لأصحابه : إنكم لاقوا قومكم غداً وأميرهم  
فما بلغى ابن عثمان أول من خالف سيرة الخلفاء وبدل سنة رسول الله  
صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد وضح الصبح لذى عينين فأكثروا ذكروا  
الله تعالى وتلاوة القرآن ، ووطنوا أنفسكم على الصبر . وصبحهم غداة  
الخميس لتسع أو لسبع من شهر صفر سنة ثلاثين ومائة ، فقال عبد العزيز  
لغلامه أبغنا علفاً ، قال هو غال . قال ويحك ! البواكى علينا غداً أغلى .

وأرسل إليهم أبو حمزة بلج بن عقبة ليدعوهم فأتاهم فى ثلاثين ركباً  
فذكروهم الله تعالى وسألهم أن يكفوا عنهم ، وقال لهم خلوا لنا سبيلنا إلى  
الشام لنسير إلى من ظلمكم وجار فى الحكم عليكم ، ولا تجعلوا حدنا بكم  
فلما لا نريد قتالكم ، فشمهم أهل المدينة ، وقالوا يا أعداء الله أنحن نخليكم  
وندعكم تفسدون فى الأرض . فقالت الحوارج يا أعداء الله أنحن نفسد  
فى الأرض ، إنما خرجنا لنكف أهل الفساد ونقاتل من قاتلنا واستأثر

بالفداء ، انظروا لأنفسكم واخضعوا من لم يجعل الله له طاعة فإنه لا طاعة لمن عصى الله ، وادخلوا في السلم وعاونوا أهل الحق . فقال له عبد العزيز ماتقول في عثمان ؟ قال قد برئ المسلمون منه قبلي وأنا متبع آثارهم ومقتد بهم ، قال فارجع إلى أصحابك فليس بيننا وبينهم إلا السيف . فرجع إلى أبي حمزة فأخبره ، فقال كفوا عنهم ولا تقاتلوهم حتى يبدؤكم بالقتال فواقفهم ولم يقاتلوهم .



## القائد الأموى يزحف على قتال الأباضية

لقد قلنا غير مرة إن مهمة الجيش الأباضى وقواده إقامة منار العدل ، أما مهمة غيره فهي الملك العضوض الذى قام به أول قائد أموى الذى قاتل إمام العدل على بن أبى طالب ، ولما انتصر عليه أمر بلعنه جهاراً على المنابر وعلى رعوس الخلائق ، وهؤلاء يقولون فيه رضى الله عنه ومن أراد الحق من الأباضية فتحه أعظم من اللعن ، سبحان من يعلم من أعمال عباده ما يوجب الانتقام ، ثم لا يعجل عليهم ويرى أعمال أهل الحق :

إلى ديان يــــوم الدين نمضى

وعند الله تجتمع الخــــصــــوم

وهذا القائد للجيش الأموى هذه المرة هو عبد الملك بن محمد بن عطية ، فتوجه إلى الحجاز . ولما علم الأباضية بذلك أرسل أبو حمزة الشارى قائده بلج بن عقبة لملاقاة الشاميين ، وكان اللقاء بينهما فى وادى القرى ، ودارت رحى الحرب بين الطرفين ، فانهزم الأباضية شر هزيمة ، ذلك لأنهم كانوا قليان وكان أهل المدينة عليهم مع الجيش الأموى ، وقتل أكثرهم فى هذه الواقعة ، وقتل فيهم بلج بن عقبة الذى كان وحدة يمثل جيشاً ، وبذلك وجد أبو حمزة الشارى أن لا قبل له بملاقاة الجيش الأموى الذى احتوى على آلاف الرجال الذين جاء بهم .

والتف حوله أهل المدينة نصرة لآل مروان ، ومكافحة لأهل الإيمان الذين لم يعرف لهم فى حرب مآء شىء يخالف منهاج القرآن أبداً ، بعد

هذه الهزيمة التي أصابت جنده قرر ترك المدينة ، لأن الجيش الذي جاء به من اليمن كله أربعمائة رجل ، وقد أخذت الحرب أعيانهم وصناديدهم في قديد ، وبقي معه القليل من الرجال ، وأين اليمن عنه وأين عمان وأين البصرة أيضاً ، وبذلك قرر العودة إلى مكة .

وذلك لأن أهل المدينة كانوا أكثر عداً له لما أصابهم من القتل في قديد ، وهنا أرادوا أن يتشفوا وينتصفوا كما يقولون . والحقيقة هم العادون عليه ، فإنه سألمهم عن أعمالهم ولاتهم فأجابوه بما يسوء فطلب منهم أن يكونوا معه فأبوا عليه ، ثم قال لهم لاتماثوهم ولا تكونوا معهم فلم يلتفتوا ، فلذلك رأى قتلهم لأنهم واجهوه بالعداء السافر الذي لا مبرر له مع أنه سألمهم : فذكروا له سيئ أعمالهم ، ولكن الجهل تحكم عليهم . (ومن يضل الله فما له من هاد) .

ولاشك أن أبا حمزة كان رجلاً عاقلاً ديناً يثار على حرم الله إذا رآها تهتك ، وسنته توطأ بالأقدام ، وكل مؤمن يتأثر من مثل هذا الحال مهما كان ، فاحتل الجيش الشامي المدينة ، وقتل من بها من الأباضية قتل هاد وإرم ، وكان زعيم الأباضية بالمدينة المفضل .

قال الناقل ذو المصدر الصحيح : وقد تعاون أهل المدينة والحند الشامي على الفتك بهم بعدما أنقذهم من الظلم الذي نزل بهم ، والذل الذي أحاط بهم ، ولما انتصر ابن عطية بالمدينة وبلغه أن أبا حمزة هجز عن مصادمته وراح إلى مكة ملتجئاً بها ، توجه إلى مكة للحاق به ، وذلك من طبيعة المنتصر ، ألا ترى أن أبا حمزة لما انتصر في اليمن وفي

مكة وفي الطائف ، فإن عدم مقاومته في هاتين المرحلتين نشط للمدينة ، ولما هزم عدوه في قديد نشط لحرب الشام ، وهنا انعكس الحال وأصبح أبو حمزة في مكة خائفاً يترقب .

ولما وصل الجيش الأموي المنتصر مكة في عام ١٣٠هـ الموافق ٧٤٧م في التاريخ المذكور ، وكان انجرف مع عبد الملك قائد الجيش الأموي غالب أهل المدينة ، ولم يقدر أهل مكة أن يلتفتوا مع أبي حمزة خوفاً من الجيش القادم المنتصر ذلك ليقضى الله أمراً كان مفعولاً ولا معقب لحكم الله ، فإنه نافذلاً محالة ، فدارت بين الفريقين معركة ضارية انتهت بمقتل أبي حمزة وأكثر رجاله الباقين معه وأعيان الأباضية الذين في مكة وعلى رأسهم أبو الحر على بن الحصين من أكبر علماء الأباضية في مكة ، وأسر من الأباضية قدر أربعمائة رجل أمر القائد المذكور بقتلهم جميعاً ، فقتلوا عن آخرهم تشفياً بمن قتلوا في المدينة ، وقد عرفت الفرق بين الطائفتين في مقاصدهم ، وكل القوم الذين قتلوا في المعركة والذين قتلوا بعد أسرهم أباضية لم يخاطبهم غيرهم ، قال وفر من تبقى من الأباضية ، وأنا أقول لم يتبق من الأباضية أحد هنا ، قال ولحقوا بالإمام طالب الحق الذي كان آنذاك يتأهب للمسير للقاء أهل الشام لما بلغه خروجهم على أبي حمزة وأصحابه ، لكن المنية قد حامت على أرواح هؤلاء الرجال فقضت عليهم .

وفي الأغاني قال : فرمى رجل من أهل المدينة في عسكر أبي حمزة بسهم فجرح رجلاً ، فقال أبو حمزة شأنكم الآن بهم فقد حل قتالهم ، فحملوا عليهم وثبت بعضهم لبعض ، وراية قريش مع إبراهيم بن عبد الله ( ٨ م - الحقيقة والحجاز )

ابن مطيع ، ثم انكشف أهل المدينة فلم يتبعوهم ، وكان على مجنبتهم  
صخر بن الجهم بن حذيفة العدوي ، فكر وكر الناس معه ، فقاتلوا قليلاً ثم  
انهزموا فلم يبعثوا حتى كروا ثالثة ، وقاتلهم أبو حمزة فهزمهم هزيمة  
لم تبق منهم باقية .

فقال له علي بن الحصين : اتبع القوم أو دعني أتبعهم فأقتل المدبر  
وآذف على الجريح ، فإن هؤلاء شر علينا من أهل الشام ، فلو قد جاءوك  
غداً لرأيت من هؤلاء ما تكره ، فقال لأفعل ولا أخالف سيرة أسلافنا ،  
وأخذ جماعة منهم أسرى ، فأراد إطلاقهم فمنعه علي بن الحصين ، وقال  
الله : إن لأهل كل زمان سيرة وإن هؤلاء لم يؤسروا وهم هراب ، وإنما  
أسروهم يقاتلون ولو قتلوا في ذلك الوقت لم يحرم قتلهم ، وكذلك الآن  
قتلهم حلال ، فدعاهم فكان إذا رأى من قريش رجلاً قتله وإذا رأى  
رجلاً من الأنصار أطلقه فأتي بمحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان فنسبه  
فقال أنا رجل من الأنصار ، فسأل الأنصار عنه فشهدوا له فأطلقه فلما ،  
رأى قال : والله إنني لأعلم أنه قرشي وما حذوة هذا حذوة أنصاري ،  
بولكن قد أطلقته .

قال وقد بلغت قتلى قديد ألفين ومائتين وثلاثين رجلاً منهم من قريش  
أربعمائة وخمسون رجلاً ، ومن الأنصار ثمانون ، ومن القبائل والموالي  
ألف وسبعمائة ، قال وكان في قتلى قريش من بني أسد بن عبد العزى  
أربعون رجلاً ، وقتل يومئذ أمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ، خرج  
يومئذ مقنعاً فما كلم أحداً وقاتل حتى قتل ، وقتل يومئذ سُمي مولى  
أبي بكر رضي الله عنه الذي يروي عنه أنس بن مالك ، ودخل بلج المدينة  
بغير حرب فدخلوا في طاعته وكف ، ورجع أبو حمزة إلى مكة وكان

على شرطته أبو بكر بن عبد الله بن عمرو من آل سراقه من بني عدى ،  
فكان أهل المدينة يقولون لعن الله السراقى ولعن بلجى العراقى وقالت  
فأتحه من المدينة تبيهم :

ما للزمان وماليه افنت قديدُ رجاليه  
فلاُبكيين سريرة ولأبكيين علانيه  
ولأبكيين إذا خلوت مع الكلاب العاويه  
ولاثنين على قديد بسوء ما أبلانيه

فى هذه الأيات هزج قديم أشبه أن يكون لطويس أو بعض طبقته ،  
وقال عمرو بن الحصين الأباضى الكوفى مولى بنى تميم يذكر وقعة قديد  
وأمرمكة ودخولهم إياها ، وأنشدنها الأخفش عن السكرى والأحول  
وثعلب لعمرو هذا وكان يستجدها :

ما بال همك عنك ليس بعارب  
يمرى سوابق دمعك المتساكب  
وتبيت تكتملى النجوم بمقلة  
عبرى تسر بكل نجم دائب  
حذر المنية أن تجىء بداهة  
لم أقض من تبع الشراة مآربى  
فأقود فيهم للعدا شنج الذسا  
عبل الشرى أشران ضمير الحالب  
متخذداً كالسيّد أخلص لونه  
ماء الحسيك مع الحلاله اللاتب

أرى به من جمع قومي معشرا  
بوراً أولى حبرية ومعائب  
في فتية صبير الفهم به  
لف القداح يد المفيض الضارب  
فندور نحن وهم وفيما بيننا  
كأس المنون تقول هل من شارب  
فنظف نسقيهم ونشرب من قنا  
سمر ومرهفة النصول قواضب  
بيننا كذلك نحن جارت طعنة  
نجلاء بين رهائب وترائب  
جوفاء منيرة مري تأمورها  
ظبتا سنان كالشهاب الثاقب  
أهوى لها شق الشمال كأنني  
حفص لقي تحت العجاج الغاضب  
يارب أو جها ولا تتعلقن  
نفسى المنون لدى أكف أقارب  
كم من أولى مقية صحبتهم شروا  
فخذاتهم ولبس فعل الصاحب  
متأوهين كان في أجوافهم  
ناراً تسعرها أكف حواطب  
تلقاهم فتراهم من راعع  
أو ساجد متضرع أو ناحب

يتلو قوارع تمتري عبراته  
فيجودها مري المرى الحالب  
مسبر بلحافة الأمور أطفية  
للصدع ذى البناء الخليل مراتب  
ومبرئين من المعايب أحرزوا  
خُصِّل المكارم أُنقِيا أطايب  
عروا صوارم للجلاد وباشروا  
حد الظباة بأنف وحواجب  
ناطوا أموهم بأمر أخ لهم  
فرمى بهم لقم الطريق اللاجب  
متسربلى حلق الحديد كأنهم  
أسد على لحق البطون سلاهب  
قيدت من أعلى حضرموت فلم تزل  
تنفى عداها جانبا عن جانب  
تحمى أعنتها وتحوى نهبا  
لله أكرم فتية وأشايب  
حتى وردن حياض مكة قُطَباً  
يحكين واردة اليمام القارب  
ما إن أتبن على أخى جبرية  
إلا تركنهم كأسم الذاهب  
في كل معترك لها من هامهم  
فلق وأيد علق بمناكب

سائل بيوم قديد عن وقعاتها  
تخبرك عن وقعاتها بعجائب

وقال عمرو بن الحصين أيضاً ويقال الحسين العنبري مولى لهم يرثه  
عبد الله بن يحيى وأبا حمزة رحمهما الله :

هبت قبيل صباح الفجر  
هند تقول ودمعها يجرى  
أن أبصرت عيني وأدمعها  
ينهل واكفها على الشجر  
أنى اعتراك وكنت عهدي لا  
سرب الدموع وكنت ذا صبر  
أقضى بعينك ما يفارقها  
أم حائر أم ما لها تدرى  
أم ذكر إخوان فجعت بهم  
سلكوا سبيلهم حل خبر  
فأجبتها بل ذكر مصرعهم  
لاغيره عبراتهم — ا تمرى  
يارب فاسم — لكى سبيلهم  
فا للعرش واشدد باللقى أزرى  
فى فتية صبروا نفوسهم  
للمشرفية والقد — ا السمر  
تالله ألقى الدهر مثلهم  
حتى أكون رهينة القبر

أَوْفَى بِنَمْتِهِمْ إِذَا عَقَلُوا  
وَأَعْفُ عِنْدَ الْعَسْرِ وَالْيَسْرِ  
مُتَأَهِّلِينَ لِكُلِّ صَالِحَةٍ  
نَاهِينَ مَنْ لَاقَوْا عَنِ النُّكْرِ  
صَمِتَ إِذَا حَضَرُوا مَجَالِسَهُمْ  
مِنْ غَيْرِ مَاعَى بِمَنْ يَزُرِي  
إِلَّا تَحِيَّيْتُهُمْ فَلَإِنَّهُمْ  
رَجَفَ الْقُلُوبَ بِحَضْرَةِ الذِّكْرِ  
مُتَأَوِّهِينَ كَأَن جَمْرَ غَضِيٍّ  
لِلْخَوْفِ بَيْنَ ضُلُوعِهِمْ يَسْرِي  
تَلْقَاهُمْ إِلَّا كَأَنَّهُمْ  
نَحْشُوهُمْ صَادِرُوا عَنِ الْحَشْرِ  
فَهَمُّ كَأَن جَوِي مَرَضٍ  
أَوْ مَسْتَهْمٍ ظَرَبَ مِنَ السَّحْرِ  
لَا لَيْلَهُمْ لَيْلَ فَيْلِسِهِمْ  
فِيهِ غَوَاشِي النَّوْمِ بِالسَّكْرِ  
إِلَّا كَرِي خَلَسَ وَأَوْتَةٌ  
حَذَرَ الْعِقَابِ وَهَمَّ عَلَى ذَعْرِ  
كَمْ مِنْ أَخٍ لَكَ قَدْ فَجَعَتْ بِهِ  
قَوَامَ لَيْلَتِهِ إِلَى الْفَجْرِ  
مُتَأَوِّهِ يَتْلُو قَوَارِعَ مَنْ  
أَيُّ الْقُرْآنِ مَفْرَعُ الصَّدْرِ

نصب تجيش بنات مهجته  
بالموت جيش مُشاشة القدر  
طمان وفدة كل هاجرة  
تراك لذته على قـدر  
رِقاص ما تهوى النفوس إذا  
رُغِبَ النفوس دعت إلى النذر  
ومبرأ من كل سيئة  
عف الهوى ذو مرة تزر  
والمصطفى بالحرب يسعها  
بغبارها وبفتية مسعر  
يختاضها بأقل ذى شطب  
عضب المضارب قاطع البئر  
لاشئ يلقاه أسرّ له  
من طعنة فى ثغرة النحر  
نجلاء منيرة تجيش بما  
كانت عواصى جوفه تجرى  
كمخيلك المختار أذك به  
من مغتد فى الله أو مشرى  
خواص غمرة كل متلفة  
فى الله تحت العشير الكدر  
تراك ذى النخوات مختضبا  
بنجيعة بالطعنة الشر

وابن الحصين وهل له شبه  
في العرف أني كان والنكر  
بسامة لم تُحَنَ أضلعه  
لذوى أخولة على غمر  
طلق اللسان بكل محكمة  
رأب صدع العظم ذى الوقر  
لم ينفك في جوفه حزن  
تغلى حرارته وتستشري  
ترقى وآونة يخفضها  
بتنفس الصعداء والزفر  
ومخالطى بلج وخالصتى  
مم العدو وجابر الكسر  
نكل الحصوم إذا هم شغبوا  
وسداد تلمة عورة الثغر  
والخائض الغمرات يخطر في  
وسط الأعدى أما خطر  
عشطب أو غير ذى شطب  
: هام العدا بذبابة يفرى  
وأخيك أبرهة الجان أخى  
الحرب العوان ملقح الجمر  
بمرشة فرغ تشج دما  
ثج الغوى سلاقة الخمر

والضارب الأخلود ليس لها  
حد ينهها عن السحر  
وولى حكمهن فجعت به  
عمرو فواكبدي على عمرو  
قوال محكمة وذى فهم  
عف الهوى مثبت الأمر  
ومسيب فاذا ذكر وصيته  
لا تنس إما كنت ذا ذكر  
فكلاهما قد كان محتسبا  
لله ذا تقوى وذا بر  
فى مخبتين ولم سمهم  
كانوا يدي وهم أولى نصرى  
وهم مساعر فى لوهى رجح  
ونخيار من يمشى على العفر  
حتى وفوا لله حيث لقوا  
بغهود لا كذب ولا غدر  
فتخالسوا مهجات أنفسهم  
وعداتهم بقواضب بتر  
وأسنة أثبتن فى لدن  
خطية بأكفهم زهر  
تحت العجاج وفوقهم خرق  
تحققن من سود ومن حمر

فتوقدت نيران حربهم  
: ما بين أعلى الهيت والحجر  
فتفرجت عنهم كماتهم  
لم ينمضوا هينا على وتر  
فشعارهم نيران حربهم  
ما بين على مسح والنحر  
صرعى فحاجلة تنوبهم  
وخوامع لحنانهم تبرى





## مقتل الإمام طالب الحق رحمه الله

خرج الإمام طالب الحق من صنعاء للقاء عبد الملك بن محمد بن عطية القائد الأموي ، الذي سار بدوره إلى اليمن للاستيلاء عليه بعد أن أعاد ضم المدن الحجازية إلى الإدارة الأموية كما يقولون ، والنقى الطرفان قيل بتبالة وقيل بجرش بين مكة واليمن ، وهو أقرب إلى مكة ودارت رحى الحرب بينهم ، وكان الطالع في صالح الجيش الأموي ، فانهزم طالب الحق وقتل رحمه الله ، وقتل الكثير من رجاله وسار ابن عطية حتى أتى صنعاء وأعاد اليمن لسلطة الأمويين ، قال ولم يلبث الأباضية أن اجتمعوا حول يحيى بن عبد الله بن عمرو بن السباق الحميري الذي انتخبوه فبايعوه على الدفاع إماماً لهم ، فبعث إليهم عبد الملك حملة بقيادة ابن أخيه عبد الرحمن ابن زيد ، والتقى مع الأباضية في معركة قاسية ، لكن لم يحدد التاريخ مكانها لكنها لم تنته في صالح أحد من الطرفين رغم ما وقع فيها من القتل الفظيع ، ورجع المذكور إلى صنعاء فاستشاط عبد الملك وتحمس، على الأباضية واشتد وهم أن يعدمهم من الوجود إن استطاع .

تقول بعض المصادر : التجأ عبد الله بن يحيى وأتباعه من الأباضية إلى عدن فساق إليهم عبد الملك أهالي صنعاء ومن الموالي للبيت الأموي ومن أعداء الأباضية إن لم نقل من أعداء الحق ، ولو أراد الله بأهل اليمن خيراً بل وبأهل الحجاز لأبقى الزعامة الأباضية فيهما ، لكن لله في عباده إرادات ، وتلاقى الطرفان في أحد أودية عدن ، فدارت الحرب بينهما كأشد ما يكون ، فانهزم الأباضية لكثرة جيش عدوهم وقتلهم هزيمة منكرة ، وقتل قائدهم وإمام دفاعهم يحيى بن عبد الله الحميري ، ثم قام يحيى بن

كرب الحميري فتولى قيادة الأباضية ، ولكن لم يطل وقته إذ التقى  
بعدوه قرب ساحل البحر العربي فانهزم في معركة حامية .

وبتوالى الهزائم على الأباضية في اليمن اختلت قوتهم والتجأوا بالمناطق  
الداخلية من حضرموت والناس خصوصاً السواد الأعظم يكون طبعاً عند  
الغالب ، وهنا يرأسهم عبد الله بن سعيد الحضرمي إذ بايعوه إمام دفاع ،  
والتف تحت جناحه القائد المتقدم يحيى بن كرب الحميري السالف الذكر ،  
فتمجهز لهم عبد الملك ليعيدهم من أرض اليمن ، ويدمرهم في آخر  
حصونهم ويستريح من صراعهم ، واستعد الأباضية لهذا اللقاء المرتقب  
كما يقول الدكتور ، وتجمعوا من أنحاء مختلفة لمعالجة هذا البلاء النازل  
بأرضهم وخصوصاً من حضرموت ، وكان نظرهم آخر أمرهم لحماية  
أنفسهم من الهجمات التي تتوالى عليهم يبطش الجيش الجبار الذي لا يرى  
إلا التشفى منهم والقضاء على حياتهم حتى لا تقوم لهم قائمة تعشاها  
الدولة الأموية .

وتذكر الروايات : أن جماعات من كندة ونهد وهمدان قد احتشدوا  
والتفوا حول عبد الله بن سعيد إمام الأباضية ، واتخذ هذا الإمام شبام  
قاعدة له .

قال : ومألاً الأباضية حصونهم بالمون والطعام التي جمعها الأباضية والعتاد  
للوافر ، وجعلوها عدة إذا حوصروا تكون لهم عوناً على حرب عدوهم ،  
ولعلمهم يرجعون إذا رأوا غلبة عليهم (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة)  
ثم ساروا للقاء الجيش الأموي الظافر عليهم علماً بأن الحرب سجال ،

وكما انتصروا سابقاً انتصر عليهم لاحقاً ، فإن طالب الحق وأبا حمزة أحرزا انتصاراً قوياً على حصونهم ، ثم عادت الكرة عليهم ابتلاء من الله عز وجل ، وعند الله تجتمع الخصوم ، ثم دارت هنا الحرب خارج حصن شبام حيث خرجوا للقاء الجيش الأموي ، وخافوا حصونهم وراهم واستمرت، المعركة طيلة النهار ، وكل أخذ من صاحبه مأخذاً ، وكأن ميزان هذه الحرب لم يرجح على جانب .

ولما تمكن الليل وهبط الظلام ، أرسل عبد الملك من رجاله من يقتحم على حصون الأباضية لأخذ الذخيرة التي فيها مما جمعه الأباضية واستعدوه ، فاحتلوا حصون شبام وقبضوا على ما فيها ، ولعل ذلك لخيانة بعض من يماكر الأباضية وباطنه عليهم ، وسيطروا على الحصون وعلى الذخيرة ، ومنعوا من في الحصون من الخروج ، وما زال الموقف حرجاً جداً ، ولكنه لم يثن من عزائم الأباضية ، فإنهم قاتلوا قتلاً شديداً وصبروا صبراً مريراً ، نظراً لعقيدتهم الصحيحة ، إن من وراء الموت الجنة التي هي المقصودة بالذات ، وإن ما يلاقون من مصائب فهين وقد حملوا عقيدة الفرار من الحرب حرام يدخل صاحبه النسيان ، لقوله عز وجل : ( ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ) .

بهذه العقيدة تخرج أرواح الأباضية في الحرب من أجسادها فلا يقاتلون لدنيا يصيبونها أو امرأة يتزوجونها أو رئاسة يريدونها ، وفي هذه الحرب الضارية لم يستطع عبد الملك إحراز نصر حاسم عليهم ، ثم تراجع قوتهم والتأم جرحهم واشتدت شكيمتهم ، واضطر عبد الملك أن يصالحهم حين

رأى الأباضية تجمع قواها من جديد ويتراجع إليهم بأسهم وترتفع أصواتهم بمواجهة عبد الملك في ميدان القتال واضطروه للالتجاء إلى أحد المواقع الحصينة ، إذ رأى شرهم يتقد جمرأ حيث حاصروه أربعة عشر يوماً ، دعاه ذلك الحصار إلى أن يتنازل لعقد صلح معهم خصوصاً أباضية حضرموت تعهد لهم فيه أن لا يولى عليهم إلا رجلاً منهم ، ومعنى هذا خضوعه لهم وردد أمرهم إليهم ورد عليهم ما انتهب من متاعهم الذي استولى عليه في حصن شبام ، ورأى منهم ما لم يكن له في الحسبان ، وهب للتملص من سطوتهم فتكون الكرة عليه ، وعند ذلك تجهز للخروج إلى مكة ليترأس موسم الحج في ظاهر الحال .

## الأباضية يقتلون ابن عطية

لقد أشرنا إلى أن ابن عطية أراد أن يفر عن صراع الأباضية ، ولما أن موسم الحج أعلن أنه يريد أن يترأس موسم الحج لأنه أمير اليمن والحجاز ، وقد اجتمع له ملك كبير مترامى الأطراف ، فترك ابن أخيه أميراً على اليمن وخرج في رهط من وجاله الذين يطمئن بصحبتهم ، قيل إن عددهم أربعون فلحقه رجال من الأباضية فهجموه في طريقه أخذاً بثأر من قتلهم من رجالهم فقتلوه هو ومن معه جميعاً ، روت هذا مصادر عديدة كالبلاذرى وهو أوسع مصدر اشتغل بأمور الأباضية وأعدائهم مع بغضه للأباضية ، وكذلك الشيخ الدرجيني والأزكوى والطبرى والمسعودى وابن خياط ، وجملة من رجال العلم الذين عنوا بالتاريخ الإسلامى ، وإن كان كل له أرب في تاريخه ولكل درجات مما عملوا ، والله ولى كل شئ ، والدنيا صراع متواصل واحتكاك لايزال ما وجدت الحياة الإنسانية فيها .

ولما علم ابن أخيه بقتله وأن الأباضية هم قتلوه ، قال الدكتور : بعث شعبياً البارقي على رأس جيش من اليمن معظمه من الرجال القساة الأجيال الذين جمعهم من جبال اليمن ، والمعنى أن عبد الرحمن بن يزيد ابن عطية اختارهم للانتقام من الأباضية ، لأن أهل الحق لا يوافقون على فعل ما لا يحل :

وهذا هو دأب الحروب عند غير الأباضية لا يعتمدون إلا ما يهواه  
هوامه أويرونه أشفى لسياستهم ، فإن الحق عندهم لقيمة له ولا يتقيدون  
( ٩٢ - الحقيقة والمجاز )

بمبادئه مهما كانت ، فثار هولاء الأجلاف ، كما يقول الدكتور ، وهجموا على الأباضية وأعملوا السيف فيهم ، وخاصة في الأباضية بحضرموت ، وقتلوا عبد الله بن سعيد إمام حضرموت ، الحالى فى أوائل عام ١٣٢ هـ .

قال : وبهذه الموقعة قضى على الإمامة الأباضية هناك وعاد الأباضية إلى مرحلة الكتمان ، قال ولكن بعضهم كان يشتد به الحماس أحياناً ويقوم بالثورة ، يعنى أن القلوب بقيت متوغرة إلى حد بعيد بحيث إذا ذكرت أحوال إخوانهم أهل الفضل والإيمان ثور بهم نائة الإيمان ، محبذين بذلك الشراء والموت ويرون الحياة بعد أولئك الغر الميامين مرة ، فزهم بايعوا بعد هذا الحادث الإمام الحسن على ما بويح عليه الإمام الذى قبله ، وقاموا معه قومة واحدة وذلك عندما صار أمر الدولة إلى العباسيين الذين لم يكونوا خيراً من الأمويين :

قال المصدر المأخوذ عنه : وعلى أية حال فإن الهزائم التى منى بها الأباضية فى تلك المنطقة لم تضع حداً للوجود الأباضى فيها ، وتشير المصادر إلى أنهم بقوا أغلبية السكان حتى وقت متأخر ، والمعنى أن مصائب الهزائم المتوالية على الأباضية لم تثن من عنان الأباضية ولم تكبح من حمامهم ، ولأنهم يرونها سروراً يتقدمون به إلى الله عز وجل ، فإن الناشئة الأباضية تنشأ على الوثيرة التى مضى عليها الآباء والأجداد ، فإن الحق هو أنشودة الأباضية والموت على الحق هو غاية الأمل عندهم ، وقوله وبقوا إلى وقت متأخر ولم يحققه ولقد حققه صاحب معالم الجزيرة وهو يعانى أيضاً ، يقول إلى تمام القرن السابع كما سوف تقف عليه إن شاء الله .

قال المسعودى إن الأباضية كانوا حتى عام ٣٣٢ هـ هجوية يكوون  
أكثرية سكان حضر موت ، قال ولا فرق بينهم وبين من بعمان من  
الحوارج أى الأباضية . قلت وابن مسعود رجل يتشيع ولا يضر الأباضية ،  
قوله من الحوارج ، لم يقل ابن مسعود للذين خرجوا على على بن أبى طالب  
خوارج ، وقد قاتلوه وقتلوا المسلمين بين يديه فى وقعة الحمل وصفين ،  
ذلك لأن العميا ترى الرمح ولا يضر السحاب عوى اللثاب ، فإن الأباضية  
عاشوا فى اليمن وحضر موت مع وجود الشيعة والسنية فيها وحملوا سيرة  
الأباضية ، وكانوا معهم كما مر عليك ، لكن ما أراد الله لا بد كائن ،  
ومالم يردده لم يكن ، ولسان حال الأباضية يقول : تسيل على حد الظبابة  
نفوسهم إلخ .

والأباضية كل حركاتهم لله ، وفى طاعة الله ، كما أعرب عن ذلك  
أبو حمزة رحمه الله ورضى عنه ، إذ قال : لم نقم أشراً ولا بطراً  
ولا لدولة نروم أن نخوض فيها ولا لثأر نيل منا ، وإنما قمنا لله حين  
رأينا الأرض قد أظلمت ومعالم الجور قد ظهرت وكثر الادعاء فى الدين ،  
وعمل بالهوى وعطلت الأحكام وقتل القائم بالقسط ، وعنف القائل بالحق ،  
سمعنا منادياً ينادى إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، فأجبنا داعى الله فأقبلنا من  
قبائل شتى ، أى حملتنا الغيرة لله ورأينا الجهاد واجباً علينا ، والله  
ما فرض على عباده الجهاد فى دينه .

هذا هو الذى يدعو الأباضية للخروج على أهل البغى ، ولم يقولوا  
بمبدأ غيرهم إن عدلوا فاشكروا وإن جاروا فاصبروا ، فهذا المبدأ  
طيب عند العجز عن القيام فى طاعة الله عز وعلا ، أما إذا كان إمكان

فالله يقول في كتابه : ( ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون ) ، ويقول : ( أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثلها قتلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم إن الله على كل شئ قدير ) ، ولا يزال الأباضية مع قول عز وجل : ( يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين ) ، ويدخل معنى الآية الذين كفروا نفاقا وهو كفر النعمة ، فإنهم يردون المؤمنين إلى ما يهونون من ضلالهم ، ويقول الله في كتابه العزيز لعباده المؤمنين : ( كنتم خير أمة أخرجت للناس ) ثم وصفهم لما كان قرر خيبتهم في الناس : ( تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ) ، فالذين لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر لم يكونوا من الأمة التي أخرجت للناس وفي آخرها يقول : ( وتؤمنون بالله ) .

وعلى كل حال من لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر ، لم يؤمن بالله ، فإن الإيمان يقتضى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكذلك قوله جل شأنه : ( يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين ) ، بهذه الآيات وأمثالها يتعلق الأباضية ويتشوقون إلى الله فيقومون من قبائل شتى تحدهم طاعة الله وتسوقهم عناية الله فيتجردون لمعارضة أهل المنكر لينهونهم عنه ويأمرهم بالمعروف ويرغموهم عليه ، فإذا قاموا قام أهل الباطل ضدهم فنشبت الحرب ، فهذا قاتل وهذا مقتول والله يعلم المقاصد ، وإن زخرفها الفساق وقزحها أهل النفاق ومزحها أهل الشقاق ، فالبارئ سبحانه لا يحتاج أن يحققها له أحد ، فإنه يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ، سبحانه يعلم السر وأخفى .

وليس أهل الحق الذين يقاتلون الناس على الدنيا ، بل الذين يقاتلون على الدين ، لأن الدين رأس مال المسلم والحفاظ عليه حفاظ رأس المال ، ومن أضع رأس ماله جاء يوم القيامة مفلسا لا موصل له إلى رضوان الله عز وجل .

ويقول الله عز وجل : ( يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودُّو ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون ) ، ينهانا الله عز وجل في هذه الآية عن اتخاذ بطانة لا يألونا خبالا ودوا وأحبوا وأرادوا ما عنتنا ترشح البغضاء والعداوة من أفواههم سافرة لاساثر لها ولا مغطى ، بل يصارحون بها وناهيكم بما تخفى قلوبهم فإنه أعظم ، لقد أخبر الله عباده المؤمنين بعداوة الفساق وأهل الدنيا الذين لا يباليون بما يفعلون ماليهم إلا ما يقضى على الحق وأهله بأى وجه كان ، وبذلك يشتعل الإيمان في قلوب المؤمنين فيقومون إلى نصب الأئمة لإقامة منار الأمة ، وهداية من سبقت له من الله عناية فيركبون بذلك الأخطار ويصارعون كل عات جبار ، إن انتصروا عليه نشروا أعلام الحق ، وإن انتصر عليهم فقد أدوا واجبهم .  
هذه هي سبيل الأباضية في كل الأجيال الماضية والله ولى التوفيق

ولاشك أن عقيدة الأباضية في حضرموت استمرت لها السيادة ، قال صالح بن حامد العلوى في تاريخ حضرموت في الجزء الأول صحيفة ٢٦٩ :  
وقد بقيت العقيدة الأباضية سائدة في بعض أنحاء حضرموت حتى أخذت تتلاشى تدريجياً بعد استيلاء الصليحي على بلاد حضرموت عام

والحق أن العقيدة بقيت قائمة يؤيدها أئمة أجلة ، ولعل آخرهم الإمام إبراهيم بن قيس بن سليمان رحمهم الله ، كما سوف تقف على ذلك أيها القارئ الكريم حتى تعلم أن أيام الحق هي أيام الأباضية ، ولما زالت أظلمت هذه الأصقاع وشاع فيها الابتداع وكثر فيها النزاع ، ولم يكن للشقاق انقطاع سنة الله التي سنّها عز وجل في عباده ، ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا ، وتلك الأيام نداؤها بين الناس ، أو لم يروا أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها يقول الإمام السالمى في جواهره :

نقصان أرض الله موت العلما

وزينة الأرض هم لتعلما

وكانت لعلماء الأباضية في حضرموت وائمن ككبّة باهرة وزحزحة قاهرة حتى تقلص ظل الحق من دنيا السلام والله المستعان .

## الإمام أبو إسحاق رحمه الله

كان الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن قيس بن سنيان الحضرمي الهمداني من أعلى حضرموت من عائلة معروفة بالعلم والعمل ، مشهورة بالفضل ، لاسيما في تلك الأيام العصيبة التي أدبرت فيها أيام الحق بتأخر الأباضية بسبب الغارات التي تتوالى على بلاد حضرموت لسحق الحق ومحق العدل ، وجعل البلاد عمياء ذليلة بانتقال الأمة الصالحة منها إلى الله عز وجل .

يقول المصدر اليماني الذي مشينا معه للأخذ عنه يقول : والمعلومات التي لدينا عن أبي إسحاق تلقي ضوءاً ساطعاً على الحالة في القرن الخامس الهجري ، وتخرج بنا من ذلك الصمت البغيض الخيف والغموض الذي شمل القرنين الثالث والرابع . قال فقد ذكروا أن والده قيساً كان عالماً كبيراً وذا ثروة واسعة ومكانة مرموقة ، مسموع الكلمة مطاع الأمر والنهي ، وقد بذل مجهوداً عظيماً في تربية ابنه إبراهيم حتى صار أعلى من أبيه شأنًا وأعظم جاهًا وأوسع اطلاعاً ، وأثبت جأشاً وأشد إقداماً .

قال وقد تصدى للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، بل ومحاربة المنكرات ومعالجة شئون الاجتماع في أخريات أيام والده ، ولم يكذب في غاية بعيداً حتى هجم القرامطة للمرة الثانية ، فقد كان هجومهم المرة الأولى ، كما ذكره علوي بن طاهر الحداد ، في أواخر القرن الرابع فحربوا ودمروا كعادتهم في غزواتهم ، وقطعوا النخيل وسلبوا الأموال وعاثوا في البلاد فساداً. قال ولم يجد أبو إسحاق في حضرموت من يناصره في صد غارات القرامطة ، فالتجأ إلى الخليل بن شاذان الأباضي إمام عمان طالباً منه النجدة ، وقدم إليه قصيدة جاء فيها :



قال وعاد أبو إسحاق إلى حضرموت بعد أن أمده الخليل بن شاذان بالمال والسلاح ، قال وقد استطاع بهذه المعونة أن يجمع حواه جنوداً وأنصاراً فرق بهم أعداءه حتى لم تبق منه بقية سوى طوائف التجأت إلى القرى الواقعة بأطراف البلاد ، ثم وجه إلى الإمام الخليل رحمه الله وفداً يخبره عما كان له على أثر تلك المعونة التي خرج بها الإمام أبو إسحاق من عمان يهتز بها ناشطاً على حرب العدو حين وجد من الإمام الخليلي بغيته، ونال أمنيته ، ورأى أن وراءه ظهراً يستند عليه ، ومع الوفد قصيدة عصماء جعلها المحدث الكريم عنه ، وعلى كل حال إن لسان المرء ترجمان عقله ، وقد انتهت الحرب التي قام بها هذا البطل الأباضي الحضرمي يقول فيها :

سل الوفد عنى يا إمام ألم أكن  
تسريلت يوم الروع ثوب العزائم  
وهل كان همى غير ما كنت ذاكرأ  
وهل نمت عن طرف الجواد وصارمى  
حرام حرام إن طعمت بمنزلى  
إلى اليوم طعم النوم بين الكرائم  
ولكننى لــــا نزلت بعقوى  
نشرت لوائى فى الكرام القمام  
وساروا بحمد الله حولى كأنهم  
بدور ولكن فى الوغى كالضراغم  
فما كان إلا جمعة بعد جمعة  
وأدت إلى العشر أهل الحضارم

يصف هذا الإمام رحمه الله انتصاره على أعدائه بعد جمعة من ثورته التي ثارها عليهم ، وجاء من الإمام الخليل مزوداً بالعدة اللازمة ، ولما وصل حضرموت دوخ المعادين . وقضى على المتمردين ، فنجح بتوفيق الله عز وجل ثم قال متحدثاً بنعمة الله :

سلي الخطبا لما دعوا لك جهرة

على رغم أهل الجور بعد التصادم

سل عرب البيداء هلا أذقمهم

عشية خانوا العهد سم الأرقام

يخبر هنا أن الخطباء في منابر حضرموت نادوا باسم الإمام الخليل ابن شاذان ، وأعلنوا عن تأييد الإمام أبي إسحاق ؛ وأنهم مبتهجون بما لاقوا . قال رحمه الله : إنه قضى على الخوثة من بادية حضرموت الذين كانوا عاهدوه فخانوا العهد ، وعندما رأوا السيوف حمراء تسيل الدماء على حدودها خضعوا للحق وأذعنوا للإمام أبي إسحاق ، فكان الأمر على خلاف ما يأملون .

قال رحمه الله متحدثاً عن الأحوال هناك سوى نفر كانوا عصاة فأصبحوا من الخوف في رعوس القرى كالحماثم ، يعني أن قلة من رجال العدو كانوا باقين على عصيانهم ففروا من وطئة الحق هاربين . قال :

ولم يبق لي إلا الصليحي قائما

وها هو أيضاً عزه غير قائم

وفي رواية سعه غير قائم ، والمعنى لم يبق من ينازعني الأمر إلا الصليحي ، ولكن سعه لا يسعه وعزه لا يعزه وسلطانه لا يساعده ،

فإن الحق إذا قام انزهق الباطل أمامه وقاده إلى الذل ، والمراد بالصليحي أحد حكام اليمن في القرن الخامس الهجري ، وقد سبقت الإشارة إليه في الفصل الخاص باليمن ، ومؤسس دولة الصليحيين هو أبو الحسن علي بن محمد ابن علي الصليحي الحاشدي الهمداني ، كان له أب معروف في اليمن سني المذهب ، وكان قاضياً مطاعاً في أهله وعشيرته .

وكان الداعي عامر بن عبد الملك الدواحي يلاطفه ويركب إليه لرئاسته وعلمه واستقامته ، وقد أعجب بذكاء ابنه علي وهو دون البلوغ فقربه منه وأوصى له بكتبه بعد وفاته ، عكف أبو الحسن علي بن أحمد الصليحي على الدرس حتى تضلع من المعارف وأصبح فقيهاً في مذهب الإمامية ، وله نظر في علم التأويل ، وصار يحج بالناس دليلاً على طريق السراة بالطائف خمس عشرة سنة ، وكان الناس يقولون سيملك اليمن أسره ويكون له شأن فيكره ذلك وينكره .

وفي سنة ٤٢٩ ثار أبو الحسن هذا في رأس مشار هو أعلى ذروة في جبال اليمن ، وكان معه ستون رجلاً قد حالفهم على الموت بمكة في موسم ٤٢٨ ، وكان هؤلاء في عز ومنعة وعدد في قومهم وعشائرهم ، ولما أعلن الثورة في ذلك الجبل المنيع أحاط به فيما يقال عشرون ألف ضارب بالسيف ، وحصلوه وسفها رأيه وقالوا له : إما أن تنزل وإلا قتلناك جوعاً ، فأقنعهم بأنه لم يكن في ثورته إلا مدافعاً عن حقوقهم وخائفاً أن يملكهم غيرهم ، فانصرفوا عنه .

وأنت تدري أن هذا الرجل كأن أبوه سنياً ثم صار هو إمامياً ، وأنه كان يتعاطى أشياء لا يقدر على إنجازها ، وكان مغتراً بنفسه مخدوعاً في عقله ، ولكن لم يبين المصدر الذي نأخذ عنه من هؤلاء الذين حالفوه على الموت

ومن الذين أحاطوا به . قال ولم يمض عليه شهر حتى حصن هذا الجبل واستفحل أمره تدريجياً ، وكان يدعو للمنتصر الخليفة الفاطمي في مصر سراً ، ويعمل الخيلة في نفس الوقت لقتل المؤيد نجاح صاحب السلطة في تهامة ، وقد استكان له أول أمره ، ثم دس إليه السم مع جارية جميلة أهداها إليه فقتله سنة ٤٥٢ .

وفي سنة ٤٥٣ كتب الصليحي إلى المنتصر يستأذنه في إظهار الدعوة ، فأذن له فطاف أرجاء اليمن يفتح الحصون والأهائم ، ولم تخرج سنة ٤٥٥ حتى كان ملكه عم اليمن بأسرها . وفي هذا العام استقر أمره في صنعاء وأخذ إليه أمراء اليمن الذين أزال ملكهم وأسكنهم معه ، ولعل ذلك لقصد القهر عليهم وهو الظاهر .

قال وولى غيرهم في مناطق نفوذهم واختط عدة قصور بمدينة صنعاء ، وفي سنة ٤٥٦ دخل عدن ولحج واصطحب معه الأمراء الذين يخافهم ، ولما دخل عدن خطب على منبرها في الجامع ، وفي سنة ٤٧٣ هجرية عزم الصليحي على الحج واصطحب معه الأمراء المشار إليهم ، ويقال إن عددهم خمسون أميراً وذلك خوفاً من أن يحدثوا شيئاً في غيبته ، ومن بينهم صاحب عدن ولحج من بني معن ، واستخلف على اليمن ابنه أحمد بن علي وولى على تهامة أسعد بن شهاب أخاً لزوجته أسماء ، وخرج في ألفي فارس وكان قد سمع بأن سعيد الأحول بن نجاح صاحب تهامة المقتول بالسم قد خرج هو وأخوه حياش في جماعة من أصحابهما لقتاله ، فسير خمسة آلاف رجل للقائهم من الحبشة فاختلفوا في الطريق فظفر الأحول بالصليحي في ضيعة يقال لها الدهيم وبئر أم معبد ، فلم يبرح من مكة حتى قتل الصليحي وقتل معه أخوه عبد الله في الثاني عشر من ذي القعدة .

وظفر الأحوال بعد ذلك بجيش الصليحي الذي سيره لقتله فقتل منهم وأسر ورجع إلى زبيد ظافراً في ١٦ من ذي القعدة سنة ٤٧٣ هـ ، وملك بلاد تهامة كلها إلى أن قتل سنة ٤٨١ هـ .

وفي هذه الحادثة قبض على أسماء بنت شهاب زوجة الصليحي وحبست في زبيد إلى أن استقنذها ابنها المكرم أحمد بن علي الصليحي زوج السيدة أروى بنت أحمد بن محمد الصليحي التي تولت اليمن بعد أن أصيب المكرم بالفالج .

وكان صاحب عدن ولحج من بني معن فيمن نجا بعد قتل أثناء الطريق ، فجاء إلى لحج وأعلن الاستقلال وترك طاعة الصليحيين ، وامتنع من أداء خراج عدن ولحج الذي جعله الصليحي مهراً للسيدة أروى بنت أحمد عندما زوجها من ابنه أحمد .

قال المصدر اليماني المعروف : ولما امتنع من أداء الخراج بنومعن قصدهم المكرم أحمد إلى لحج وعدن وأخرجهم منها وولاهها العباس ومسعود ابني مكرم الجشمي اليامي إلى آخر ما أطال من تاريخ القوم ، ولأجل المعرفة بالصليحي ودولته ومنافساته لأهل الحق من رجال الأباضية أوردنا تاريخه للتعريف به وبأعماله التي قال بها في حضرموت .

قال المصدر ولما توفي المكرم أحمد بن علي الصليحي قام بدعوته ابن عمه سبأ بن أحمد الصليحي ، وجعل قاعدة مملكته حصن الشيخ ، وقد عاصر الصليحيين أبو الفتح الديلمي فقتله في نجد الحاج سنة ٤٤٠ هـ ، وكذلك الأمير حمزة بن أبي هاشم ، ثم قتله الصليحيون في الملوى من بلاد أرحب .

وهكذا كان الصليحيين في هذا القرن الخامس الهجري .

قال المصدر الذي نعتمد عليه في نقل هذه القضايا : وقف أبو إسحاق  
حاتلا دون تنفيذ مطامع الصليحيين في احتلال حضر موت وفي ذلك يقول  
من نفس القصيدة النارة :

يخوفني أن المعز ملاذه  
بمصر وماخوفي لأهل انظالم  
إذا وفده ولى إلى مصر رايدا  
مضى وفدنا قصداً لخير المعالم (١)  
ليعلم أى الحزب أسبق نصره  
وأيهما أرى بفعل المكارم

وأراد بهذا المعز الخليفة المستنصر الفاطمي بمصر الذى كان الصليحي  
يحارب من أجله ويحظب باسمه ، قال واستمرت الحرب بين الصليحي  
وأبي إسحاق مدة طويلة اضطر أثناءها أن يطلب المدد مرة أخرى من  
الخليل بن شاذان كما تدل على ذلك قصيدته هذه التى يقول فيها :

من شاء يعلم ما كانت أوائلنا  
فيه فسيرتنا تكفيه برهانا  
هذا الخليل إمام المسلمين حكمت  
أنوار سيرته فى العدل نيرانا

---

(١) يريد بتغير المعالم . عمان وعاصمتها نزوى أهـ .

يفتخر أبو إسحاق رحمه الله بالخليل بن شاذان رحمه الله ورضي  
عنه يقول فيه :

يا أيها العلم العدل الذي كملت  
له الخصال مروا وإيماننا  
إني أحبك والرحمن يعلمه ———  
حب احتساب إلى ذي الطول قربانا  
إذ صرت مشهوراً بالفضل أنت ولي  
قلب يحب بدين الله من دانا  
حتى عبرت إليك البحر منتصراً  
أيام عدت بما أوليت جدلانا

ثم طلب النصرة من الإمام رحمه الله ثانياً كما طلبها أولاً  
فقال :

فانصر أخاك فإن الحرب قائمة  
والحق يطلب من أهليه أركاننا  
واعلم بأنك قد أثرت مآثرة  
فارفع لها شرفاً فالأمر قد هانا  
إن الذي عمرت صنعه ———اء دولته  
بالفسق أصبح من مولاى فزعانا  
أضحت مخالفة أرض اليمان له  
لم ——— رأتك لها حصنا ومعوانا

يصف أبو إسحاق فساد الصليحي في صنعاء العاصمة ، وأنه لما رأى النصر من الإمام لأبي إسحاق أصبح مرتاعاً خوفاً أن تصبح قوات الإمام محيطة به أو تحل قريباً من داره فتحل عليه النقمة ، وأهل الباطل يرتاعون من أهل الحسل إذا رأوا ثورتهم ، فإن الباطل زهوق بنصر الكتاب :

فارقدهم فهم يدعون ر.م.م

جهرأ لتلكهم سرأ وإعلانا

والمعنى هم يتمنون أن تكون أنت إمامهم وحاكمهم ، فأمد الخليل رحمه الله فرجع الصليحي خائب الأمل حين رأى قوات الإمام تزحف على اليمن ، ولاريب فإن حضرموت من أول أمرها أباضية ، فلذلك كان أبو إسحاق أباضياً هو وآبؤه وإخوانه حتى تدخل في حضرموت الأجانب من بقية المذاهب من سنية وشيعية وزيدية .

والحجة للأباضية كون حضرموت أباضية في العهد القريب من الخلافة الراشدة وما يقرب منها ، أما بعد ذلك فقد تلاشى الدين واضطرب حبل الإسلام ، وتبدلت الأحوال ووقع التحزب في الدين ، وظهرت المذاهب المتعددة ، ونهج كل فريق منهجاً تصديقاً لحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي يقول فيه : « ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها هالكة إلا واحدة ناجية » ويقول أبو إسحاق رحمه الله :

أبا القاسم اسمع لاعدمتك قصتي

لتجعب من أمرى وأنت رشيد

طلبت هودى حضرموت فلم أجد  
بها أحداً ينكى العدا ويكيد  
فسرت عمانا قلت على أرى بها  
شراة تسامى والمكان بعيد  
فجادوا ببدل المسال دون نفومهم  
وعدت حميداً والإمام حميد

يقول أبو إسحاق رحمه الله إنه طلب من أهل حضرموت المعين  
والمناصر فلم يجده ، ولعل القوم تخوفوا من مناصرة أبي إسحاق خوف  
العدو الجاثم في البلاد ، فأمدّه الإمام بالمال دون الرجال ، لأن المال  
قد يكون لا يظهر ، أمام الرجال فالخرج يكون بهم أكبر والعداوة تشتد ،  
فلعل أبا إسحاق لا يتنصر فيكون أمر العدو على أهالي حضرموت أشد ،  
ولكل وقت سياسة والسياسة هي الحند الفعال .

قال أبو إسحاق رحمه الله :

فلما رأى أهل الضلال شرارتي  
تزيد حياة والضلال يبسد  
بداهم أن ينكثوا فقتلوا  
لوأذاً وغـال المسلمين خمود

يقول أبو إسحاق : لما رأى أهل الضلال انتقاد شرارتي وآلهاب  
جمرتي فروا خوفاً من العدو ، وذلك أنه جاء بلا رجال ولا سلاح ،  
ولما رأوه جاء كذلك قالوا إن الرجل جاء بالخبيثة زاد خوفهم واشتد  
روعهم ، وقاموا يتسللون لوأذاً مستخفين منه ، لذلك قاموا يتسللون  
( ١٠٢ - الحقيقة والمجاز )

هرباً أو أنهم حسدوه على ما جاء به ، فإن المال يقوى الرجال ويؤيد العمال  
ويوطد الأعمال وهاهو ذا يقول الآن :

سيعلم دغ — اربن أحمد والفتى  
سلااة مه — دى وكل مخالف

ولعل دغار هو لقب على بن أحمد ، فإنه هو الذى برز الآن فى  
الميدان ، وقام يزجر فى حضرموت فلم يوجد لزمجرته راد إلا الإمام  
أبا إسحاق قال :

إذا نزل المستنصرون بمحفل —  
يهزون بيضاً كبروق الخواطف

والمعنى سيعرف دغار ومن معه إذا نزل المستنصرون بإمام نزوى  
معهم العدة والمال ، ويقول البطل البارونى رحمه الله : إن أبا إسحاق أقام  
عاملاً بحضرموت للخليل بن شاذان مدة حياته ، فلما نصب راشد بن  
سعيد إماماً بعمان بعد الخليل بقى عاملاً على حاله ، وله مع الإمام راشد  
قصائد يعترف له فيها بالولاء منها قصيدته التى أرسلها إليه يعرض فيها  
للإمام راشد يريد النجدة فى حربه مع نهد وعقيل حيث يقول :

أباضية زهر كرام أفاضه —  
مناقبهم فى كل سامى علا تبدو  
وأنت لنا من بعدهم صرت قيما  
حمولا لثقل الخطب يورى بك الزند

وسار فيها إلى أن قال :

فإن عدلوا عن بغيتهم وتراجعوا  
إلى عسكر الإسلام والحق وارتدوا  
فأهــــــــــــلا ومهلا بالعشيرة لهم  
إليكم بإخلاص لرب السما أدوا  
وما بين وادى حضرموت وبينكم  
إذا سرركم إتياننا نحوكم بعد

يقول إذا حزبيكم أمر ودعتكم الحاجة إلى حضورنا إليكم فلا تعد بيننا  
وبينكم ثم قال :

متى يأتناــــــــــــا منكم صريخ نوؤمكم  
بعسكر جرار يضيق به النجد  
كهولا وشباناً صباحاً مساعراً  
وراداً إلى الهيجا إذا استعصب الورد  
بكل رديني أصــــــــــــم ومرهف  
كمثل شعاع الشمس تحملنا الجرد

وكانت للأباضية في حضرموت مراكز معروفة ومنازل مألوفة في  
شباب وميفعة وفي هينن وذى أصبح ووادي حضرموت ، كل هذه البلاد  
كانت خاصة بالأباضية كما ذكرهم أبو إسحاق رحمه الله في قصيدته العينية  
حيث يقول وهو يتحدث عن لسان حال التي تخاطبه :



عليه فقد هما وراثهما بقصائد بعضها مثبت في ديوانه . قال والحديث عن أبي إسحاق هذا هو آخر العهد بالمعلوم لدينا من تاريخ الأباضية في حضرموت ، فلا نعلم عنهم أكثر من أن الأباضية بقيت على جانب من القوة والمنعة إلى عهد الفقيه المقدم المتوفى سنة ٦٥٣ هـ ، حيث أخذ ظلها يتقلص بفضل الحملات التي تثار ضدها حتى انمحت تماماً وحل محلها مذهب الأشاعرة السنيين في الأصول ، ومذهب الشافعي في الفروع .

والمعنى أن الحال الدينية أصبح في اضطراب وأصبح أهل حضرموت في أديان لا في دين ، فهم على أصول الأشاعرة وفروع الشافعية وهذا دليل الاضطراب ومحط الخلاف ، فإنه صار لدين الله أديان متعددة ، فإن الحق واحد لا يتعدد ، فإن الفروع تتبع الأصول . فهم من ناحية أشعرية ومن ناحية أخرى شافعية ، والأمر لله عز وجل ، ولا يخفى أن مذهب الأشاعرة مذهب مرجئ وهو في غاية الانحطاط في عقيدته ، واولا خوف التطويل لبحث بأصوله وفروعه لا سيما التناقض الذي لا يخفى على البصير .

قال غير أن المتتبع لتاريخ سلاطين آل راشد الذين ظهوروا في الميدان السياسي منذ أول القرن السادس الهجري ، تجد أن خلافاً واضح الأثر بين بعضهم وبين كبار أنصار السنة من العلويين . فهل كان هؤلاء السلاطين ممن يذهبون مذهب الأباضية ؟ اسمع ما يقول الشرع : وكان السلطان في ذلك الزمان من آل قحطان قد أضمر سوء مراراً لعلوي بن محمد صاحب مرباط المتوفى سنة ٦١٣ هـ ، قال وكان يظهر له الصداقة جهاراً فرقاً من نوجه الناس وخوفاً من أن يأمرهم بالخروج عليه ، فأعمل فيه مكره وسقاه السم المرة بعد المرة فلم يعمل فيه شيئاً ولم يضره .

قال ونقل الشيخ محمد بن عبد الله باسودان أن بعض أئمة ذلك الزمان كلف العلويين بإثبات نسبهم بالطريقة القضائية ، وكان الحامل له على تكليفهم من عنده نزعة أباضية ، قال فسار الإمام المحدث على بن محمد بن جديد إلى البصرة وأثبت نسبهم عند قاضيها وأشهد على إثبات القاضي نحو مائة شاهد ممن يريد السفر إلى الحج ، ورقب بمكة حجاج حضرموت ، قال وقال صاحب البضائع إنه بذلك انتهى الهمس والتقطيب ، وانقطعت لسان كل خطيب قال وعلى بن محمد بن جديد هذا في أيام آل راشد ونوفى بالحجاز سنة ٦٢٠ هـ .

قلت لم أعرف ما يريد هذا الذي أثبت نسبه بالبصرة والمفهوم منه أنه أثبت نسبه أنه علوي وإذا كان كذلك فبالنسبة إلى الأباضية ، فالأباضية لا يعتدون بالأنساب ولا يعولون عليها ، إنما يعولون على التقوى امتثالاً لقوله عز وجل : ( يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن إكرمكم عند الله أتقاكم ) ، اللهم إلا إذا كان لإثبات النسب المشار إليه لأجل حق قرابة النبي عليه الصلاة والسلام من الغنيمة الوارد حكمه في قوله تعالى : ( واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن الله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى ) الآية والله أعلم .

وكان سالم بن بصرى من ألد أعداء الأباضية في حضرموت وأنه يحارب بدعهم ولم يبين عن هذه البدعة التي يحارب الأباضية من أجلها ابن بصرى ، وأنه كان ينال منها جهراً قال ويذكر صاحب البضائع أن العلامة ابن بصرى قتل يوم الجمعة ٢٣ رجب سنة ٦٠٤ هـ ، قال فن هذا الذي امتحنه ؟ ولماذا ومن ذا الذي دبر الحيلة في مقتله ؟ وما هي الظروف

التي أحاطت بهذا القتل والاختيال ؟ قلت : لما كان مشهوراً بعدواة الأباضية فلا بد أن يكون الأباضية اغتالوه فقتلوه ذلك قتل الباغى معهم اغتيالاً جائز لاسياً إذا كان لا يمكن قتله جهاراً ، فإن النبي عليه الصلاة والسلام أمر بقتل رجال ونساء ممن اشتدت عداوتهم له ، وقد صح ذلك عند أهل العلم بالسيرة . قال المؤرخ سعيد عوض باوزير اليماني : ولندرك الأباضية تجود بأنفاسها في نهاية القرن السابع الهجري ، ومعنى ذلك أن آخر وجود الأباضية بذلك الطرف تمام القرن السابع ، ثم تقلص ظلها وانحل أمرها ولكل شيء نهاية ، وبذلك دخلت المذاهب الأخرى بحضرة موت واليمن ، وهذا خاص بالزعامة في هذه الأمكنة ، فإن نظر المؤرخين إلى الزعماء لا إلى أفراد الأمة فإنه من الممكن أن تكون بقية بحضرة موت من الأباضية إلى عهد ممتد ، إلا أن النظر إلى الأعيان لا إلى الأفراد وسينتهي أمر الدنيا كلها والله المستعان :

١٥ يوم ٢٢ صفر سنة ١٤٠٠ هجرية .

بقلم العبد لله محمد بن حسن بن محسن الرمضاني بيده

تاريخ يوم ٧ جمادى الأولى سنة ١٤٠٠ هـ الموافق ٢٢ إبريل عام

١٩٨٠ م .





## فهرس الكتاب

رقم الصفحة	الموضوع
٣	المقدمة
٧	التعريف بحضرموت ولينم إلخ
٩	حضرموت - مساحتها
١١	صفة الأباضية
٣٥	نسبة الأباضية
٣٩	أدب الأباضية في نظر أحمد أمين
٤١	صوت طالب الحق يبدأ ظهوره
٤٣	ظهور الأباضية
٥١	الصراع بين الحق والباطل
٥٥	الحق حليف الأباضية
٥٩	الجنود الظالمية
٦٥	بدأ انتشار المذهب الأباضي
٦٩	أبو عبيدة ينشئ بيت مال
٧٧	طالب الحق يتزعم الدعوة في حضرموت
٧٩	شروط الإمامة عند الإباضية
٨١	أبو عبيدة يرسل أبا حمزة مدداً لطالب الحق
٨٣	طالب الحق يدعو الناس لاتباع الحق قبل إمامته
٨٥	الوقت المناسب للثورة
٨٧	وصية أبي عبيدة

رقم الصفحة	الموضوع
٨٩	إمامة طالب الحق والاستيلاء على حضرموت
٩١	الزحف على العاصمة صنعاء
٩٣	والى صنعاء يحشد الحشود لمصادمة طالب الحق
٩٥	الإمام طالب الحق يبتعد من حصائد المجرمين
٩٧	الإمام طالب الحق يوجه قائده أبا حمزة لفتح الحجاز
١١١	القائد الأموي يزحف على قتال الأباضية
١٢٥	مقتل الإمام طالب الحق
١٢٩	لأباضية يقتلون ابن عطية
١٣٥	لإمام أبو إسحاق



رقم الإيداع ٤٨٤٦ لسنة ١٩٨٠

سابقة  
وزارة التسميد والتوسيع  
الرقم العام : ~~٥٤٤~~  
الرقم الخاص : ٢١٧/٩